
زوجات الأنبياء والرسل
منصور عبد الحكيم
المكتبة التوفيقية

زوجات الأنبياء والرسل

منصور عبد الحكيم



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إن الحمد لله نحـمده ونستغفـره ونستهديه ونعوذ بـالله من شرور أنفسنا وسيـئات أعمالنا، إنـه من يهديه الله فلا مضـل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له وأشهد أن محمداً عـبده ورسوله وصفيه وخليله ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين فجزاه الله خير الجزاء.. وصلى اللهم وسلم على آل بيته الطاهرين وعلى أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.. ثم أما بعد:

فإن للمـرأة منذ أن خلق الله آدم وحواء لدوراً هاماً فى حـياة الرجل.. فهى الأم والأخت والزوجة والابنة، وإن قصص زوجات الرسل والأنبياء لخير دليل على مكانـة المرأة فى حيـاة الرجـال.. فـالأنبـياء والرسل هـم صفـوة الخلق..

ونحن حين نـسرد القصص نسـتلهم منها العـبر والعظة، فلقـد جاءت قصص الأنبـياء من مواقف مـتفارقـة متباينة لزوجـات الرسل، منهن من آمن وجاهد وآخريات كفرن وحاربن الله ورسله، ولكن اللاتى كفرن وحاربن أنبياء الله قلة قليلة ذكرهن الله في قرآنه وضرب بهن مـثلاً للذين كفروا.. ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾(١) ورغم قلة المصادر المتاحـة لدينا حول أسماء هؤلاء الزوجات وتاريخهن قـبل أن يلتحقن ببـيت النبـوة إلا أننا سوف نسـتلهم المواقف التـى أثرت فى أزواج أنبيـاء الله ورسله.

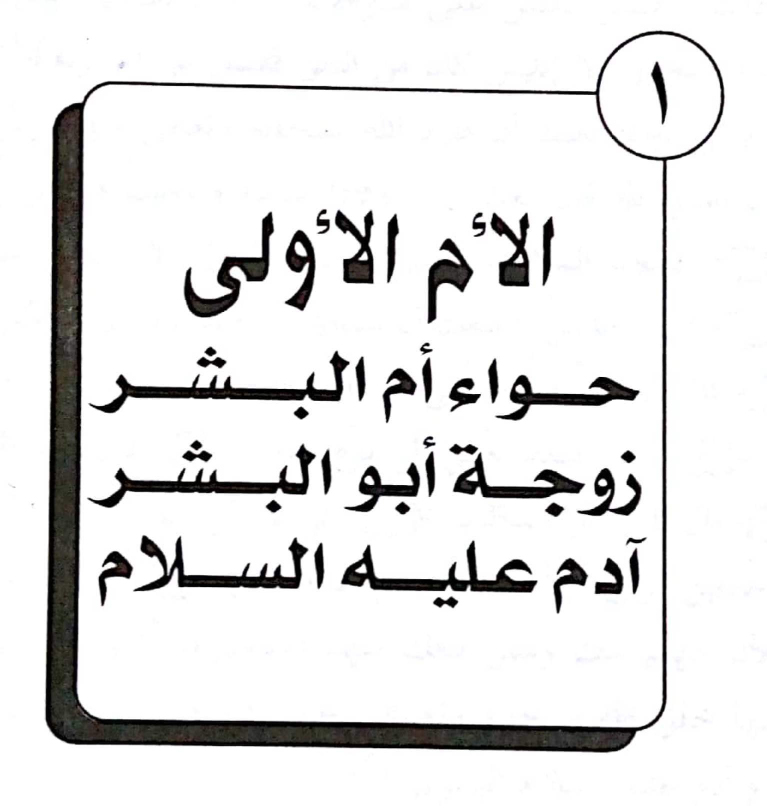
ونسأل الله العون والسداد وصلى اللهم على سيدنا مـحمد وآله وصحبه وسلم.

منصور عبد الحكيم محمد

المحامى

---

(١) سورة التحريم: ١٠ .


١
الأم الأولى
حواء أم البشر
زوجة أبو البشر
آدم عليه السلام

أول امرأة فى تاريخ الإنسان

خلق الله آدم عليه السلام بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الله سبحانه ملائكته بالسجود لهذا المخلوق سجود تكريم وتحية، وليس سجود عباده كما يظن بعض الجهال، وسجدت الملائكة كلهم طاعة لأمر الله، وكان ضمن الحاضرين لهذا المشهد الجليل أحد أبناء الجن «إبليس» فلم يسجد ظنًا منه أنه أفضل من آدم عليه السلام، وعصى أمر الله بالسجود حينما ناقشه المولى عز وجل فى ذلك وأصر إبليس على موقفه.. قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[1] وعاش آدم عليه السلام فى الجنة بعد أن طرد الله سبحانه وتعالى منها إبليس عليه لعنة الله لعصيان أمر الله قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2] وقبل دخول آدم الجنة للعيش فيها خلق الله سبحانه وتعالى حواء ليسكن إليها، وكان خلقها من أحد أضلاع آدم عليه السلام اليسرى [3].

وعن قصة خلق حواء يروى ابن كثير أثراً عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم قالوا: أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة. فكان يمشى

(١) سورة الكهف (٥٠).
(٢) سورة ص (٧١ -٨٥).
(٣) ذكره محمد بن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما وأورده ابن كثير في قصص الأنبياء.

فيها وحشياً ليس له فيهـا زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستـيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه.

فسألها : ما أنت؟

قالت : امرأة.

قال : ولم خلقت؟

قالت : لتسكن إلىَّ.

فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه : ما اسمها يا آدم؟

قال : حواء.

قالوا : ولم كانت حواء؟

قال : لأنها خلقت من شيء حي [(١)].

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [(٢)].

وقد روت السنة أيضاً أن المرأة أصلها من ضلع، والضلع أعوج قال ﷺ **«استـوصوا بالنسـاء خيـراً فـإن المرأة خلقت من ضلع، وإن إعـوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيـمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فـاستوصوا بالنساء خيراً»** رواه البخارى وهذا لفظه ورواه مسلم والترمذى وابن ماجه.

وعاش آدم وحواء فى الجنة ينعمان بنعيمها، حياة لا تعب فيها ونصب.

وقد اختلف المفسرون حول الجنة التى سكنها آدم وحواء هل هى جنة الخلد أو جنة المأوى؟ هل هى التى فى السماء أو جنة من جنات الأرض؟.

---

(١) ذكره ابن كثير فى تاريخه وقصصه عن السدى عن أبى صالح وأبى مالك عن ابن عباس عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابه ﷺ.

(٢) سورة النساء (١).

ذهب الجمـهور على أنهـا جنة الخلد التى فى السمـاء. . ولقد أبهم الله ذكـرها ولو كان فى ذكـرها فائدة ترجى تـعود علينا لذكـرها. كذلك الأمـر بالنسبـة إلى الشجرة المحرمـة التى حرم الله على آدم وزوجته حـواء أن يأكلا منهـا فكل شيء فى الجنة مباح سوى تلك الشـجرة ابتـلاء من الله لهـمـا وليقضى أمراً فيهما وذريتهما.

قال تعـالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [(١)].

وحذر الله سبـحانه وتعالى آدم عليه السلام من إبليس وأخـبره أنه عدو له، وأنه إذا خرج من الجـنة سوف يشقى فى العـيش على الأرض ولكن آدم نسى بعد طول مكثه فى الجنة قال تعالى : ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى ﴾ [(٢)].

وبدأ الشيطان بالوسوسة وهو أمرٌ خفى يسرى فى الوجدان إذا لم تطرده من أول وهلة تمكن منك، ولكن كيف للشيطان أن يدخل الجنة وقد طرده الله عز وجل منهـا. . أشار إلى ذلك المفسرون. . بأن الحـية هى الحيوان الوحـيد الذى رضى أن يساعـد إبليس عليه اللعنة فى الوصـول إلى الجنة كى يوسوس لآدم عليه السـلام وكانت ذات قوائم أربعة فـدخل فيها ثم دخلت الحـية إلى الجنة وكلم آدم وحواء. . ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى ﴾ [(٣)]. ثم حلف لهمـا أنه لهما من الناصحـين وأقسم على ذلك، ولم يكن يظن آدم عليه السلام أن هناك مخلوقاً يحلف كذباً.

إنها النصيحة الشيطانية. . الملك الذى لا يبلى. . والمقصود أن يكون آدم مثل الملائكة يعيش مثلهم فى عبادة الله، وللوصول إلى هذا الهدف أمر سهلاً

---

(١) سورة البقرة (٣٥).

(٢) سورة طه (١١٧ - ١١٩).

(٣) سورة طه (١٢٠).

هو الاكل من هذه الشجرة.

ولكنها الشجرة التى حرمهـا الله عليهما.. وظل الشيطان يوسوس لآدم وحواء حتى اقـتنعا بالفكرة الشيطانية، ونسى آدم عليـه السلام تحذير ربه جل وعلا من أن الشيطان عدو له ولزوجته، والعدو لا تأخذ منه النصيحة.

ولكن حواء كـانت عوناً للشـيطان على آدم وتقدمت حـواء فأكلت من الشجرة ثم قالت : يا آدم كل فإنى أكلت فلم يضرنى [1].

ومـا أن أكل آدم عليـه السـلام من ثمـار الشـجرة حـتى بدت لهـمـا سوءاتهمـا، وكان هذا هدف الشيطان الأسمى فـقد كان يعلم أنه إذا أكل آدم وحواء من ثمار الشجرة سوف يبدو لهما سوءاتهما وكذلك يفعل مع ذرية آدم عليه السلام حتى الآن.

وطفق آدم وحواء يخصفان عليهـما من ورق الجنة كى يوارى سوءاتهما قال تعـالى: ﴿**مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [2].

وقال آدم : يارب أطعمتنى حواء.

قال لحواء : لم أطعمته؟

قالت : أمرتنى الحية.

قال للحية : لم أمرتها.

قالت : أمرنى إبليس.

قال : ملعون مدحور.

(١) تاريخ الطبرى بتصرف.
(٢) سورة الأعراف (٢٠ - ٢٢).

قال لحواء : أما أنت ياحواء فكمـا أدميت الشجرة تدمين فى كل هلال وأما أنت ياحية فـأقطع قوائمك فتمشين جرياً على وجـهك وسيشرخ رأسك من لقيك بالحجر اهبطوا بعضكم لبعض عدو [1].

وقد يقول قائل : من السبب فى خروج آدم عليه السلام من الجنة؟

هل هى حواء؟

الحقيقـة أن القرآن الكريم وما ذكر من السنة الصحيـحة أن الشيطان قد وسوس لآدم وزوجتـه قال تعالى: ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**﴾ [2] وقال أيضاً ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى**﴾ [3].

إذن.. فالمسئولية مشتركة بين آدم وحواء.. ولكن حواء هى التى بدأت وشجعت وخرج آدم وحـواء من الجنة بتلك المعصية بعد أن تاب الله علـيهما قال تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [4].

وكانت تلك الكلمات هى قوله تعالى: ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [5] وليس كمـا يدعى البعض أن آدم عـليه السلام قال يارب أسألك بحق محمد ألا غفرت لى [6].

وهبط آدم وحواء وإبليس والحـية.. أعداء بعض ﴿**اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**﴾ [7] وكان ذلك يوم الجمعة. قال ﷺ «**إن فى الجمعة خمس خلال : فيه خلق آدم وفيه أهبط إلى الأرض، وفـيه توفى الله آدم وفيه ساعة لا يسـأل العبد**

(١) تاريخ الطبرى بتصرف.
(٢) سورة البقرة (٣٦).
(٣) سورة طه (١٢٠).
(٤) سورة البقرة (٣٧).
(٥) سورة الأعراف (٢٣).
(٦) ورد فى ذلك حديث ضعيف رواه الطبراني وضعفه أحمد الدارقطني وابن كثير فى قصص الأنبياء والذهبى والصحيح ماجاء فى القرآن.
(٧) سورة البقرة (٣٦).

ربه شيئاً إلا أعطاه إياه، مالم يسأل إثماً أو قطيعة، وفيه تقوم الساعة وما من ملك مقرب ولا سماء ولا جبل ولا أرض ولا ريح إلا مشفق من يوم الجمعة»[١].

وما دلت به السنة عن مسؤلية حواء تجاه ما حدث لآدم ما رواه البخارى ومسلم وأحمد عن أبى هريرة أنه ﷺ قال: **«لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها»**.

وقال ابن كثير فى قصص الأنبياء نقلاً عن أهل الكتاب إن الذى دل حواء على الأكل من الشجرة هى الحية وكانت أحسن الأشكال. وأعظمها فأكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام.

والذى نراه أنهما شريكان وإن كانت حواء هى البادية - لأن القوامة دوماً للرجل.

وحين نزل آدم إلى الأرض.. أهبط بالهند وحواء بجدة.. ونزل آدم ومعه الحجر الأسود وبعض أوراق الجنة فبثها فى الهند.. وأهبط إبليس بدستمان من البصره على أميال، وأهبطت الحية بأصبهان[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج آدم من الجنة بين الصلاتين: صلاة الظهر وصلاة العصر فأنزل إلى الأرض وكان مكثه فى الجنة نصف يوم من أيام الآخرة وهو خمسمائة سنة من يوم كان مقداره اثنتى عشرة ساعة. واليوم ألف سنة مما يعد أهل الدنيا[٣].

وتقابل آدم وحواء وتعارفا بعرفات ثم إزدلف إليها بمزدلفة، واجتمعا بجمع. هذا ما ذكره أصحاب السير والتاريخ وعاش آدم وحواء على الأرض

(١) ذكره الطبرى فى تاريخه عن سعد بن عبادة وذكر أيضاً روايات أخرى بنفس الحديث ورواه مسلم فى صحيحه.

(٢) طبقات ابن سعد. وذكره ابن كثير أيضاً فى القصص.

(٣) ذكره الطبرى في التاريخ وقال: وهذا أيضاً قول خلاف ما وردت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن السلف من علمائنا.

بعد أن ندما وطلبا الصفح والغفران من ربهما وتاب عليهما.. لكن حياتهما على الأرض غير التى كانت فى الجنة.. إنها حياة الشقاء والكد والتعب، وقد زود الله آدم عليه السلام من ثمار الجنة ما يقرب ثلاثون نوعاً. وتعلم آدم عليه السلام الصناعة والزراعة على الأرض. ودله الله سبحانه على البيت الحرام أول بيت وضع لله على الأرض، وطاف به كما علمته الملائكة من قبل حين كان يراها تطوف حول العرش.

وعاشت حواء مع زوجها آدم على الأرض تعاونه وتساعده وقد تعلما الدرس والموعظة.. وجاءت منهما الذرية فإن أبا البشر خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه الأسماء كلها وأسكنه جنته، وجعل منه الذرية كلها إلى يوم القيامة.

وقد رأى رسول الله ﷺ آدم عليه السلام فى رحلة الإسراء والمعراج وهو فى السماء الدنيا قال له: مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح. قال - أى رسول الله ﷺ: وإذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى، فقلت: ياجبريل ماهذا؟. قال: هذا آدم وهؤلاء نسب بنيه، فإذا نظر قبل أهل اليمين - وهم أهل الجنة - ضحك، وإذا نظر قبل الشمال - وهم أهل النار - بكى[١].

جاءت الذرية بأن آدم عليه السلام والذى عاش كما جاء فى كتب السير والتاريخ ألف عام على الصحيح، كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الآخر. فقد كانت حواء تنجب فى كل مرة توأمين ذكر وأنثى، فيحرم على الذكر أن يتزوج توأمه الأنثى وإنما يتزوج أنثى التوأم الآخر وهكذا جاءت الذرية، وأنجبت حواء قابيل وأنثى، ثم هابيل وأنثى، وقيل أن حواء ولدت لآدم عليه السلام عشرين ومائة بطن أولهم قابيل وتوأمته قليما، وآخرهم عبدالمغيث وتوأمته أمة المغيث[٢].

(١) رواه البخارى ومسلم وذكرناه بمعناه.

(٢) الطبرى فى تاريخه.

وسمى أهل الكتاب قابيل «قينا» وكان هابيل يشتغل برعى الغنم والإبل وأخوه قابيل يشتغل بالزراعة، وطلب قابيل وهابيل الزواج من أبيهم آدم عليه السلام فأمر قابيل أن يتزوج أخت هابيل وأن يتزوج هابيل توءم قابيل.. لكن قابيل رفض ذلك وأراد أن يتزوج بأخته التى هى توءمه التى ولدت معه وذلك لا يجوز وقتها وأصر قابيل على موقفه ورأيه وقال هى أختى ولدت معى.

وذهب آدم إلى مكة كى يزور بيت الله الحرام كما أمره بذلك فى حينه، وطلب آدم من ابنه الأكبر قابيل أن يكون الأمين على أولاده بالأمانة فوافق، وسافر آدم إلى البيت الحرام بمكة وترك بنيه ولم يتم الزواج كما أراد، واحتكم الأخوين إلى الله لحل أول مشكلة تطرأ بينهما على الأرض.. فاتفقا أن يقرب كل منهما قربان لله فإذا أتت النار على قربان أحدهم كان الحق معه، وقدم هابيل أفضل ما عنده من الماشية وقدم قابيل من الزرع الذى يزرعه وقيل حزمة سنابل، فنزلت النار من السماء فأكلت قربان هابيل، فغضب قابيل لذلك وتوعد أخيه بالقتل. فقال له هابيل : ماذنبى!! إنما يتقبل الله من المتقين.

وسولت له نفسه - أى قابيل - قتل أخيه، فألقى عليه حجراً وهو نائم فأرداه قتيلاً.. فكان أول من سن القتل على الأرض.. وقف ينظر ماذا يفعل فى جثمان أخيه المقتول.. لا يدرى.. فلم يدفن أحد من أبناء آدم عليه السلام من قبل.. فبعث الله غرابين يقتتلان حتى قتل أحدهما الآخر وقابيل ينظر إليهما وحفر الغراب القاتل بمنقاره ورجليه الأرض حتى وضع الغراب الآخر فى الحفرة ثم واره التراب.. ففعل قابيل مثل ما فعل الغراب، فكان قابيل أول من سن القتل فى بنى آدم، وكان هابيل أول القَتْلَى، فقال ﷺ : «ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها» [(١)].

وجاءت قصة هابيل وقابيل فى القرآن الكريم فى سورة المائدة: ﴿واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قُربانا فتُقبِّل من أحدهما ولم يُتقبَّلْ من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴿٢٧﴾ لئن بسطت إلىَّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسطٍ يدى إليك

(١) رواه الطبرى في تاريخه بسنده.

لأقتلك إنى أخافُ الله ربَ العالمين ﴿٢٨﴾ إنى أُريدُ أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصْحاب النَّار وذلك جزاء الظَّالمين ﴿٢٩﴾ فطوعت له نفسُهُ قتل أخيه فقتله فأصبح من الْخاسرين ﴿٣٠﴾ فبعث اللهُ غُرابا يبحث فى الأرض ليُريه كيف يوارى سوْءة أخيه قال يا ويْلتىٰ أعجزْتُ أنْ أكُون مثْل هذا الغُراب فأُوارى سوْءة أخى فأصبح من النَّادمين ﴿٣١﴾ منْ أجْل ذلك كتبْنا علىٰ بنى إسْرائيل أنَّهُ من قتل نفْسا بغيْر نفْس أوْ فساد فى الأرْض فكأنَّما قتل النَّاس جميعا ومنْ أحْياها فكأنَّما أحيا النَّاس جميعا ولقدْ جاءتْهم رسُلنا بالْبيِّنات ثُمَّ إنَّ كثيرا منْهُم بعْد ذلك فى الأرْض لمُسْرفُون ﴿٣٢﴾﴾ [(١)].

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لما قتل قابيل آخاه هابيل أخذ يد أخته ثم هبط بها من جبل توْذ إلى الحضيض، فقال آدم لقابيل : اذهب فلا تزال مرعوباً لا تأمن من تراه، فكان لا يمر به أحد من ولده إلا رماه، فأقبل ابن لقابيل أعمى، ومعه ابن له، فقال للأعمى ابنه : هذا أبوك قابيل، فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله، فقال ابن الأعمى: قتلت يا أبتاه أباك، فرفع الأعمى يده فلطم ابنه فمات ابنه، فقال الأعمى : ويلى لى : قتلت أبى برميتى وقتلت ابنى بلطمتى.

ورزق آدم عليه السلام بعد قتل ولده هابيل ابناً آخر على شاكلته وتقواه هو شيث وقد بلغ عمره مائة وثلاثين عاماً، وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنوات، ومعنى شيث «هبة الله» ومعه تؤامه عذورا، قال له جبريل حين ولدته حواء: هذا هبة الله بدل هابيل، وهو بالعربية «شث»، وبالسريانية «شاث»، وبالعبرانية شيث، وإليه أوصى آدم عليه السلام وأنزل الله على شيث بعد ذلك خمسين صحيفة، قال ﷺ عندما سأله أبو ذر الغفارى رضي الله عنه : كم كتاب أنزله الله عز وجل؟ قال : «مائة كتاب وأربعة كتب أنزل الله على شيث خمسين صحيفة» [(٢)].

وصارت الرياسة والنبوة من بعد آدم عليه السلام إلى ابنه شيث عليه السلام.

(١) سورة المائدة (٢٧ - ٣٢).

(٢) أخرجه الطبرى بسنده فى التاريخ.

وذكر أن آدم عليه السلام حين مرض المرض الذى مات فيه أوصى إلى ابنه شيث عليه السلام وكتب وصيته ثم أعطاه إياها وأمره أن يخفيها عن أخيه قابيل وولده، لأن قابيل قتل أخاه هابيل حسداً منه حين خصه آدم عليه السلام بالعلم. وأخفى شيث عليه السلام هذا العلم الذى تركه له والده فى ذريته دون قابيل وذريته.. وجاءت الملائكة رسل الله عز وجل لقبض روح آدم أبى البشر عليه السلام ومعهم كفن من الجنة وغسلوه بماء وسور وكفنوه فى وتر من الثياب، ثم لحدوا له فدفنوه ثم قالوا : هذه سنة ولد آدم من بعده. وصلى عليه ابنه شيث وكبر أربعاً، وقيل كبر عليه ثلاثين تكبيرة فأما خمس فهى الصلاة والخمس والعشرين تفضيلاً لآدم عليه السلام.

وقد اختلف فى موضع قبر آدم عليه السلام وحواء التى ماتت بعد عام واحد ودفنت معه، فقيل دفن بمكة فى غار أبى قبيس يقال له الكنز وقيل فى الجبل الذى هبط عليه من الجنة بالهند، وعن ابن عباس ﷺ قال : لما خرج نوح من السفينة دفن آدم عليه السلام ببيت المقدس. فقد قيل أن نوح حمل جثمان آدم وحواء عند الطوفان فى السفينة ثم دفنهما فى بيت المقدس أو أعادهما مكانهما والله أعلم.

٢

زوجة شيث عليه السلام

حزورة بنت آدم عليه السلام من حواء أم البشر

حــزورة بنت آدم عليه السلام

ذكر المؤرخــون القدماء ومنهم ابن إســحاق ونقله عنه الطبــرى أن حواء ولدت لآدم عليه الســلام أربعون ذكر وأنثى فى عشــرين بطناً، ذكر منهم ابن إسحاق ابعض منهم قابيل توءمتــه قليما، وهابيل وليوذا، ثم واثوث بنت آدم توءمها وشيث وتوءمــته حزوره وذكر ما يقرب من خمســة عشر رجلاً وأربعة نسوة.

والأسماء لا تــهمنا بقدر ما يهــمنا الدور الذى يلعبه صاحــبه فى تاريخ البشرية، فلقد حــمل شيث عن آدم عليهما السلام أعــباء الدعوة والرسالة من بعد أبيــه بعد أن أوصى إليه، فلــقد كان آدم عليــه السلام نبيــاً مكلماً من الله وكــذلك ولده شيث عليــه الســلام، سئل أبى ذر الغــفاري ﷺ رســول الله ﷺ : **يانبى الله، أنبياً كان آدم؟ قال : «نعم كان نبياً كلمه الله قبلاً»**[1].

وحين حضر آدم عليــه السلام عهد إلى ابنه شيث وعلمــه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك[2].

وقال محمد بن إسحاق أن أنــساب بنى آدم كلها تنتهى إلى شيث وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا والله أعلم.

وقال ابن كثــير : فلما مات آدم عليــه السلام قام بأعبــاء الأمر من بعده ولده شــيث عليه الســلام وكان نبــياً بنص الحــديث الذى رواه ابن حبــان فى صحيحه عن أبى ذر مرفوعاً أنه أنزل عليه خمسون صحيفة.

وتزوج شيث أختــه غير التــوءم حزورة وهو أبن مائة وخمس عــاماً من عمره، فولدت له يانش ونعمه..

وعاش شيث بعد ولادة يانش ثمانمائة وسبع سنين.

---

(١) رواه الطبرى فى تاريخه بسنده.

(٢) ابن كثير رواية عن ابن إسحاق قصص الأنبياء.

وقامت الزوجة الصالحة بنت آدم عليهم السلام بأعباء الزوجة المساندة لزوجها، المعينة له على طاعة الله، واستمر نسل أولاد آدم من أولادها.

أما قابيل الذى هرب بأخته التوءم أشوث فولدت له رجلاً وامرأة.. خنوخ وعذب واستمر نسلهما فترة من الزمان ثم انقطع بعد ذلك.. وقد أوصى آدم عليه السلام قبل وفاته ألا ينكح شيث لأولاده من أولاد أخيه قابيل وذلك لما رأى فيهم انتشار الزنا وشرب الخمر والفساد. وهكذا استطاع شيث وزوجته حزورة من الحفاظ على طهارة نسبهما من الفساد الذى سرى فى ذرية الابن العاق قابيل بن آدم.

وقام ابن شيث «أنوش» بسياسة أبيه من بعده وسار على نهجه، وعاش تسعمائة سنة وخمسين كما ذكر ذلك أهل التوراة.

وقال ابن عباس رضي الله عنه : ولد شيث أنوش ونفراً كثيراً، وإليه أوصى شيث ثم ولد لأنوش بن شيث بن آدم، ابنه قينان من أخته نعمة أبنة شيث بعد مضى تسعين سنة من عمر أنوش ومن عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وعشرين سنة.

وأما ابن إسحاق فإنه قال : نكح يانش بن شيث أخته نعمة ابنه شيث، فولدت له قينان، ويانش يومئذ ابن تسعين سنة فعاش يانش بعد ما ولد له قينان ثمانمائة سنة وخمس عشرة سنة، وولد له بنون وبنات فكان كل ما عاش يانش تسعمائة سنة وخمس سنين. ثم نكح قينان بن يانش وهو ابن سبعين سنة. دينة ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم. فولدت له مهلائيل بن قينان فعاش قينان بعد ما ولد له مهلائيل ثمانمائة سنة وأربعين سنة، فكل ما عاش تسعمائة سنة وعشر سنين.

ومن مهلائيل كان ابنه يارد الذى آلت له الوصية ومنه ابنه أخنوخ وهو إدريس النبى عليه السلام.

٣

زوجة نبى الله إدريس عليه السلام

هدانة ابنة باويل

زوجة إدريس عليه السلام

قال أهل التاريخ والتفسير: إن أخنوخ هو إدريس عليه السلام، وهو فى عمود نسب النبى ﷺ على ما ذكره غير واحد من علماء النسب [١].

وقال ابن إسحاق: انه أول من خط بالقلم وأدرك من حياة آدم عليه السلام ثلاثمائة سنة وثمانين سنة وقيل أنه المقصود بحديث معاوية بن الحكم السلمى لما سأل رسول الله ﷺ عن الخط بالرمل فقال: «**إنه كان نبى يخط به فمن وافق خطه فذاك**»[٢] ويزعم كثير من علماء التفسير أنه أول من يتكلم فى ذلك ويسمونه هرمش الهرامسه ويكذبون عليه أشياء كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء[٣].

فإدريس يرجع نسبه حسبما جاء فى تاريخ الطبرى إلى أبيه يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام. وتزوج إدريس عليه السلام من هدّانة ويقال لها أيضاً: أدّانة بنت باويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم عليه السلام. ولدت له بنون وبنات وعاش ثلاثمائة وخمساً وستين سنة ثم مات[٤]. والوصى من بعده ابنه متوشلخ.

وذكر البخارى عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس عليه السلام ولم يرجح ذلك ابن كثير. واستدل من قال أن إلياس هو إدريس ما جاء فى حديث الزهرى عن أنس فى الإسراء: أنه مر به عليه السلام قال له: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، ولم يقل كما قال آدم وإبراهيم: مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح. قالوا: فلو كان فى عمود نسبه لقال كما قالا له.

---

(١) ابن كثير والطبرى فى التاريخ.

(٢) ابن كثير فى القصص.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الطبرى فى تاريخه نقلاً عن ابن إسحاق.

وقال ابن كثير رداً على ذلك: وهذا لا يدل ولابد، لأنه قد يكون الراوى حفظه جيداً، أو لعله قال على سبيل الهضم والتواضع، ولم ينتصب له في مقام الأبوة كما انتصب لآدم أبى البشر، وإبراهيم هو خليل الرحمن وأكبر أولى العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

وسلسلة نسب إدريس كما ذكرنا من لدن آدم عليه السلام إلى حفيده يرد متصلة فى علم الأنساب. وهم الأوصياء على ماعاهد الله عليه آدم عليه السلام من حمل الأمانة والتوحيد.. فهم بمثابة الأنبياء والأولياء فقد تزوج شيث أخته حزورة وتزوج ابنه أنوش من أخته نعمة وولدت له قينان الذى تزوجه دينة ابنة براكيل التى ولدت له مهلائيل وولد لمهلائيل ابنه يرد، وقد تزوج مهلائيل من خالته سمعن ابنة براكيل. وتزوج يرد بن مهلائيل من بركنا ابنة الدرمسيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم عليه السلام وولدت له إدريس عليه السلام.

وقيل ان أول من ركب الخيل هو إدريس عليه السلام كما هو أول من خط بالقلم كما ذكرنا، وعاش إدريس عليه السلام على وصية أبيه وأجداده الأوصياء أولاد آدم عليه السلام بالتوحيد ومعه زوجته معاونة له، فقد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصديقية، وذكر المفسرون أن إدريس عليه السلام رفع إلى السماء الرابعة وقد حان أجله فقبض ملك الموت روحه هناك وذلك تفسير قوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ وقال ابن كثير تعليقاً على ذلك الكلام: إنه من الإسرائيليات.

وأورد الطبرى فى التاريخ خبراً مرفوعاً عن أبى ذر الغفارى عن النبى ﷺ قال: يا أبا ذر أربعة - يعنى من الرسل - سريانيون: آدم وشيث ونوح وأخنوخ وهو أول من خط بالقلم وأنزل الله على أخنوخ ثلاثين صحيفة» وقد زعم بعضهم أن الله بعث إدريس إلى جميع أهل الأرض فى زمانه وجمع له علم الماضين، وأن الله عز وجل زاده مع ذلك ثلاثين صحيفة، قال فذلك

قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾﴾[1].

وقالت اليهود: ان ولد يرد أخنوخ فنبأه الله عز وجل وقد مضى من عمر آدم ستمائة سنة واثنتان وعشرون سنة وأنزل عليه ثلاثون صحيفة، وهو أول من خط بعد آدم وجاهد فى سبيل الله وقطع الثياب وخاطها وأول من سبى من ولد قابيل، فاسترق منهم، وكان وصى والده «يرد» فيما كانوا آباؤه أوصوا به إليه، وفيما أوصى به بعضهم بعضاً وذلك كلمة من فعله في حياة آدم. وقد توفى آدم عليه السلام بعد أن مضى من عمر أخنوخ ثلاثمائة سنة وثماني سنين تتمة تسعمائة وثلاثين سنة التى ذكر أنها عمر آدم.

ودعا إدريس قومه ووعظهم وأمرهم بطاعة الله ومعصية الشيطان، وألا يخالطوا ولد قابيل، فلم يقبلوا منه وكانت المعصية، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد شيث تنزل إلى ولد قابيل.

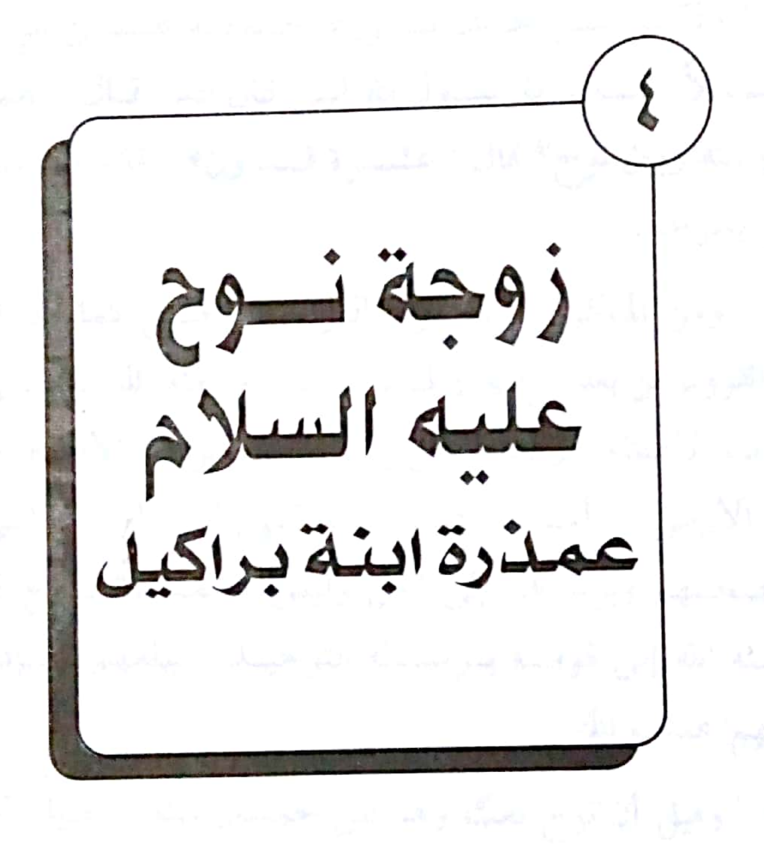
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان بين نوح وآدم عليهما السلام عشرة قرون كلهم على شريعة الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[2].

وروى جماعة من السلف أن الكفر بالله حدث فى القرن الذى بعث فيه نوح كما سنعرف فيما يأتى إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الأعلى (١٨ ـ ١٩).

(٢) سورة البقرة (٢١٣).


٤
زوجة نوح
عليه السلام
عمذرة ابنة براكيل

امـرأة نــوح عليه السلام

الزوج نبى رسول من سلالة طاهرة نقـية إنه نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ - إدريس - بن يرد بن مهلائيل بن قين بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام.

قالوا: إن بينه وبين آدم عليه السلام مائة وستة وعـشرون عاماً كما ذكره الطبرى وغيرة من تواريخ أهل الكتاب.

وذكـر ابـن حـبان فـى صحـيحـه عـن أبي أمـامـة ﷺ «**أن رجـلاً قـال: يارسـول الله أنبى كان آدم؟ قـال: نعم.ملكم. قـال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشـرة قـرون**». قال ابن كثير على شرط مسلم ولم يخرجه.

ومن الممكن أن المقصود بالقرن هو الجـيل كما قال تعالى: ﴿**وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح**﴾ والمهـم أن نـوح بعثه الله تعـالى إلى قومـه بعد أن عبدت الأصنام، وكفر الناس بعبـادة الله الواحد الأحد، فهو أول رسول بعث إلى الأرض.. أمـا من كـان قـبله فـهم أنبـيـاء.. والنبى يرسل إلى قـومـه وينصحـهم ويرشدهم إلى الحق وليس مكلف بلا بـلاغ كالرسول مـثلاً الذى يبعـثه الله إلى قومـه بـرسـالة التوحيـد، ليبلغهم فـإذا لم يستجـيبوا حق عليهم عذاب الله.

وقيل أن نوح بعث وهو ابن خمسين سنة، وقـيل أكثر من ذلك ثلاثمائة وخمسين عاماً وقال ابن عـباس ﷺ: ابن أربعمائة وثمانين سنة.. كل ذلك لا غرابة فيه ولا فائدة من معرفة الصواب.

الـذى حـدده الـقـرآن الكريم أن نوحـاً ظل فى قومـه يدعـوهم إلى عبـادة الله ألـف سنـة إلا خـمسين قـال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ**

قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون (١٤) فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾(١)

ولقد روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام.. فماذا حدث؟ كان فى قدم نوح رجال صالحون خمسة ذكرهم القرآن الكريم هم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا.. وهم من ذرية آدم عليه السلام، فلما ماتوا.. جزع عليهم قومهم وحزنوا حزناً شديداً، وعكفوا على قبورهم ويتذكرون سيرتهم الصالحة، فجاءهم الشيطان في صورة إنسان وقال لهم: إني أرى جزعكم على هؤلاء الرجال الصالحين فهل أصور لكم صوراً مثلهم فيكونوا فى أنديتكم تذكرونهم.. وأعجبتهم الفكرة الشيطانية، وبالفعل صنع لهم الشيطان تماثيل لهؤلاء الصالحين الخمسة، ثم صنع تماثيل صغرى كى يضعونها في بيوتهم.. وانحرف الجيل الذى كان يحى الذكرى وجاء جيل آخر أوحى الشيطان لهم أن يتبركوا بهؤلاء الصالحين ويطلبوا منهم ما يشاءون يدعون أنهم مستجابوا الدعوة عند ربهم، وفعلوا.. ثم عبدوهم صراحة من دون الله.

هذا ماحدث مع قوم نوح وما يحدث في زماننا هذا وفى كل العصور من عبادة الأضرحة بالدعاء إليها وعندها.

وأرسل الله نوحاً إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الواحد الأحد.

ويحكى القرآن مافعله نوح مع قومة وقاله فى آيات عديدة وسوره كثيرة في القرآن نذكر منها ما جاء في سورة نوح قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي

(١) سورة العنكبوت (١٤ - ١٥).

آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)﴾(١).

وبعد أن تأكد لنوح عليه السلام أنه لن يؤمن له إلا من قد آمن دعا على قومه وأمره الله أن يقوم ببناء السفينة ليحمل فيها المؤمنين وما أمره الله أن يحمله فيها، حين يغرق الطوفان الكفار فقد دعا نوح ربه قائلاً: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ سورة نوح. ومن العجيب أن امرأة نوح عليه السلام وهى أم أولاده حام وسام ويام ويافث ويام أو كنعان، لم تؤمن بما جاء به من عند الله واتهمته بالجنون وحرضت عليه قومها، وكذلك ابنه يام أو كما يسمونه كنعان رفض التصديق برسالة أبيه واتبع ملة قومه وأمه.

وذكر الطبرى وغيره أن نوحاً زرع الشجر مائة عام ثم قطعه لصناعة السفينة بوحى من الله وكلما مر عليه قومه وهو يصنع السفينة استهزءوا منه،

(١) سورة نوح (١ - ٢٨).

لأن في منطقة ليس فيها مـاء أو بحر فكان يقـول لهم : سوف تعلـمون.

وعندما جاء الطوفـان ليغرق كل كافـر على أرض الله حمل نوح أولاده: حام ويافث وسام والمؤمنين وكانوا قلة والطيور والحيوانات ورفض ابنه يام أن يركب معه كما حكى لنا القرآن الكريم ذلك ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾[1] وقالوا إن السـفينة كان طولهـا ألف ذراع ومائتى ذراع وعرضـهـا سـتمائة ذراع، وكـانت ثلاث طبقات، طبـقة للدواب والحـيوانات المفترسة، وطبقة للإنس والثالثة للطير.

ونجى الله نوحاً ومن معه وأغرق الكافرين به ومنهم زوجته وابنه وضرب الله عز وجـه نوحًا ولوطًا مثـلاً للذين كفروا وأنـزل فيها قـرآناً يتلى إلى يوم القيامة قال تعالى ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾[2] ولم تكن خيانة زوجة نوح لزوجهـا في شرفه وإنما هى فى لغته في الإسلام والتمسك بدعوة الكفر والتحريض عليه ومساعدة قومها ضده إنها من أسوء النسـاء على مر التاريخ. وقـد اختلف فى اسمـها فذكـر ابن جرير الطبـرى فى تاريخه أنهـا عمـذرة بنت براكـيل وقيل أن اسـمهـا واهلة والله أعلم.. المهم هو مضـمون القـصة فالأسـماء لا تهم ولو كانت ذات أهمـية لذكرها القرآن.

واستمرت مسيرة الحياة على الأرض بعد أن رست السفينة، وأصبح نوح مـثل آدم الأب عليهـما السـلام.. أبو البـشر الذين يأتون من بعـده.. فكل الذريه التى على وجه الأرض اليوم من نسل نوح علـيه السلام من أولاده سام

(١) سورة هود (٤٢ -٤٣).

(٢) سورة التحريم (١٠).

وحام ويافث قال ﷺ فيما رواه سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضي الله عنه : **«ولد نوح: سام وحام ويافث، فولد لسام العرب وفارس والروم والخير فيهم، وولد ليافث : يأجوج ومـأجوج والترك والصقالـبة ولا خير فيـهم، وولد لحام القبط والبربر والسودان»**[1].

قيل أن السفـينة سارت بنوح ومن معه مـائة وخمسون يوماً واسـتقرت على الجودى شهـراً وهبطوا منها فى يوم عاشوراء أى العاشـر من المحرم ذكر ذلك قتادة وغيره.

قال ابن إسحـاق فى الشهر الثامن من سنة اثنين فى سـتـة وعشرين ليلة منه ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] قال تعالى فى استمرار الذرية من عقب نوح وأولاده دون غيره ممن نجـا فى السفينة ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾[3].

(١) رواه الحافظ أبو بكر البرازفى مـسنده وابن كثير عنه فى القصص والمقـصود بالقبط هنا أي أهل مصـر لأن كلمة القبط تـعنى المصرى القديم ولا دخل لهـا بالدنيا فالـقبطى لا تعنى المسيحى وإنما هى كلمـة أطلقها البعض خطأ لا أساس لها من الصحـة وإنما كلمة القبطى أي المصرى سواء مسلم أو غير مسلم.

(٢) سورة هود (٤٨).

(٣) سورة الصافات (٧٥ - ٨٢).

٥

الزوجتان المطيعتان لزوجهما سارة وهاجر زوجتى إبراهيم خليل الرحمن عليهم الصلاة والسلام

Scanned by CamScanner

ســارة وهــاجــر

هما زوجتان لرجل واحد نبى الله ورسوله وأبو الأنبياء من بعده إبراهيم عليه السلام إذا تتبعنا نسله فهو إبراهيم ابن آزر بن ناصور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عــابر بن شالح بن أرفخــشد بن سام بن نوح عليــه السلام وباقى النسب من نوح عليه السلام إلى آدم عليه السلام ذكرناه من قبل فى قصة امرأة نوح.

وقد ذكرالطبرى وابن كثير وأهل النسب أن اسم أباه «تارخ». ولكن لقبه آزر وهو الذى ذكر به فى القرآن الكريم، وقيل أن سـبب تسميته آزر أنه يصنع الأصنام لقومه ويبيعها لهم فسمى باسم أحد الأصنام وهو آزر.

ولد إبراهيم لأبيه آزر وكــان آزر قد بلغ من العمــر خمساً وســبعين سنة وولد له أيضاً ناصور وهاران.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن إبراهيم ولد بفوطة دمشق فى قرية تسمى برزة، فى جبل اسمــه قاسيون ثم قال أيضاً : والصــحيح أنه ولد ببابل، وإنما نسب إلى هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء معينًا للوط عليه السلام.

والصحيح المشهور أنه ولد ببابل بأرض العراق وحدث له ما حدث هناك مع طاغية الأرض النمرود.

وشب إبراهيم فــوجد قــومه يعبــدون الأصنام من دون الله، فــلا يوجد على الأرض من يعبد الله سوى إبراهيم عليه السلام الذى شب على عبادة الله بفطرة خالقــه، دعا إبراهيم أباه إلى عبادة الله وناصــحه، إلا أن الأب الذى كان رزقه من ... ـه الأصنام رفض ذلك واستكبر وذكر القرآن الكريم المحاورة بين الأب والابن قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ**

إن الشيطان كان للرحمن عصيا (44) يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا (45) قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا (46) قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا (47) وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا ﴾(1)

وقد استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه كما وعده، ولكن لما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾(2).

وقال ﷺ: «لا يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة. فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يارب أنك وعدتنى ألا تخزينى يوم يبعثون. فأي خزى أخزى من أبي الأبعد. فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: ياإبراهيم ماتحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذبح متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فى النار»(3).

وذكر الطبرى فى تاريخه أن أبو إبراهيم كان يصنع التماثيل ويعطيها أبناءه ليبيعها ومنهم إبراهيم عليه السلام فكان ينادى إبراهيم عليه السلام فيقول: من يشترى ما يضره ولا ينفعه. فيرجع أخوته وقد باعوا أصنامهم إلا إبراهيم يرجع بها كما هى وذلك قبل دعوته لأبيه.

وانتقل إبراهيم عليه السلام من دعوة أبيه إلى دعوة قومه، وحاورهم وجادلهم بالتى هى أحسن قال تعالى حكاية عما فعله إبراهيم عليه السلام مع قومه من دعوتهم إلى عبادة الله: ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم (69) إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون (70) قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين (71) قال هل يسمعونكم إذ تدعون (72) أو ينفعونكم أو يضرون (73) قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (74)

(1) سورة مريم (41 - 48).
(2) سورة التوبة (114).
(3) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ؓ.

قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون (75) أنتم وآباؤكم الأقدمون (76) فإنهم عدو لي إلا رب العالمين (77) الذي خلقني فهو يهدين (78) والذي هو يطعمني ويسقين (79) وإذا مرضت فهو يشفين (80) والذي يميتني ثم يحيين (81) والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين (82) رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين (83) واجعل لي لسان صدق في الآخرين (84) واجعلني من ورثة جنة النعيم (85) واغفر لأبي إنه كان من الضالين (86) ولا تخزني يوم يبعثون (87) يوم لا ينفع مال ولا بنون (88) إلا من أتى الله بقلب سليم﴾(1) وحاور إبراهيم عليه السلام قومه وسألهم ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ قالوا: وجدنا أباءنا لها عابدين؟ قال: لقد كنتم أنتم وأباؤكم فى ضلال مبين. وقال لهم أيضاً: هل يسمعونكم إذا تدعون أو ينفعونكم أو يضرون؟ قالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. فقال لهم: أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين. قالوا: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين؟ قال: بل ربكم رب السماوات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين. وقال فى نفسه: تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين.

عندما وصل الجدال إلى طريق مسدود أسر فى نفسه ذلك ويقال أن البعض سمع ذلك منه. وجاء يوم عيد لهم يخرجون فيه، لكن إبراهيم عليه السلام لم يخرج معهم وتعلل بأنه مريض. وذهب القوم إلى عيدهم خارج المدينة، وانطلق إبراهيم عليه السلام إلى بيت الآلهه المعبد، ووجد الأصنام هنا وهنا وقد وضع القوم أمامهم الطعام والشراب والقرابين، فقال للأصنام على سبيل التهكم والسخرية: ألا تأكلون مالكم لا تنطقون.

وقام عليهم ضرباً بفأس كانت معه، فحطم الأصنام كلها إلا صنماً كبيراً تركه، ووضع الفأس على كتفه، حتى يظن قومه أنه هو الذى فعل ذلك بالأصنام الأخرى الصغيرة، أو سخرية من إبراهيم للأصنام ومحاولة في أقناع القوم أنها لا تنفع نفسها ولا تستطيع حماية نفسها.

(1) سورة الشعراء (69 - 89).

وعاد القوم إلى المدينة ووجدوا الأصنام قد حطمت ونظروا إلى بعضهم البعض.. من فعل هذا بآلهتنا؟ قال البعض منهم: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم.

تذكروا دعوة إبراهيم عليه السلام لهم بترك عبادة الأصنام والرجوع إلى عبادة الله الواحد الديان. وجاءوا بإبراهيم عليه السلام يحاكموه.

- قالوا: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟

قال: بل فعله كبيرهم فاسألوهم إن كانوا ينطقون.

وكان الرد مفحماً لهم.. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿**فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون**﴾ أي فعادوا على أنفسهم بالملامة أي في تركها لاحافظ لها وحارس عندها، وأدركتهم الحيرة، وقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.. فكيف تسألهم؟ قال: تعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون.

ثم كان الحكم الذى أصدروه عليه بالحرق ﴿**قالوا احرقوه أنصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين**﴾. وبنوا له بنياناً وجمعوا له الحطب وأطلقوا النيران واضطرمت والتهبت وعلا شررها عنان السماء.. ثم قيدوا إبراهيم وهو يقول: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك.

ووضع في كفه المنجنيق مقيداً مكتوفاً ثم ألقوه إلى النار وهو يرد:

حسبنا الله ونعم الوكيل

حسبنا الله ونعم الوكيل

حسبنا الله ونعم الوكيل(1)

(1) روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قيل له ﴿**إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾.

وقبل أن يصل إلى النار جاء جبريل عليه السلام فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: جعل ملك المطر يقول: متى أومر فأرسل المطر؟ فكان أمر الله أسرع.

وصدر الأمر الألهى ﴿**قلنا يانار كونى برد وسلاما على إبراهيم**﴾.

ولم ينتفع أهل الأرض يؤمئذ بنار فقد ظنت نار الدنيا أن الأمر صادر إليها، ولم تحرق منه سوى وثاقه.

وقال السدى: كان معه ملك الظل. وبعد أن طفئت النيران قيل بعد أربعين يوماً أو خمسين يوماً نظر الناس فإذا إبراهيم جالساً فى روضة خضراء وخرج إبراهيم سالماً بأمر ربه من النار. وجاءوا به الملك وهو النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وحاوره إبراهيم عليه السلام وجادله فدار بينهما الحوار الذى سجله القرآن الكريم في سورة البقرة: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾(1).

وبعد أن انتصر إبراهيم عليه السلام على أعدائه بفضل الله وحده، وأقام عليهم الحجة.. ترك بلادهم وهاجر بدينه فى سبيل الله، وقد آمن معه قليل من قومه، منهم ابن عمه لوط بن هاران وتزوج إبراهيم من سارة ابنة عمه.

قال تعالى ﴿**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾(2).

(1) سورة البقرة (٢٥٨).

(2) سورة العنكبوت (٢٦ - ٢٧).

سارة الزوجة المطيعة

كانت سارة نعم الزوجة لزوجها فى دار الهجرة، فقد هاجر إبراهيم وزوجته إلى أرض الشام ثم قصد أرض مصر، وكان بها فرعون ملك جبار، وأخبر الملك أن رجلا يدعى إبراهيم قد دخل بلادك ومعه امرأة ذات جمال بارع، أرسل من يسأل من هذه المرأة؟ فقال إبراهيم : إنها أختى. فأمره الملك أن يرسلها إليه، فقال لها إبراهيم : لا تكذبى قولى بأنى أخبرته أنك أختى، أن ما على الأرض مؤمن غيرى وغيرك.

وتروى كتب السيرة والأحاديث النبوية ما دار بين السيدة الجليلة سارة والملك الجبار المصرى روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ﵁ قال: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات اثنتان منهن فى ذات الله، قوله: إنى سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا. وقال: بينما هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه وسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختى. فأتى سارة فقال: ياسارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك، وأن هذا سألنى فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى.

فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، فقال: ادعى الله لى ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية مثلها أو أشد. فقال: ادعى الله لى ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبته فقال: انكم لم تأتونى بإنسان، وإنما أتيتمونى بشيطان فأخدمها هاجر.

فأتته - أى إبراهيم - وهو قائم يصلى فأومأ بيده. مهيم، فقالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر فى نحره وأخدم هاجر.

قال أبو هريرة : «فتلك أمكم يابنى ماء السماء» (1)

(1) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد وأبو داود.

وقد روى البخارى عن أبى اليمان عن شعيب بن أبى حمزة عن أبى الزناد عن أبى هريرة ﵁ عن النبى ﷺ به مختصراً، وقال ابن كثير فى القصص : ورأيت فى بعض الآثار أن الله عز وجل كشف الحجاب فيما بين إبراهيم عليه السلام وبينها فلم يرها منذ خرجت من عنده إلى أن رجعت إليه. وكان مشاهداً لها وهى عند الملك وكيف عصمها الله منه، ليكون ذلك أطيب لقلبه وأقر لعينه وأشد لطمأنينته فإنه كان يحبها حبًا شديداً. لدينها وقرابتها منه، وحسنها الباهر فإنه قيل أنه لم تكن إمرأة بعد حواء إلى زمانها أحسن منها ﵂. وهكذا نجى الله المرأة المطيعة لزوجها وربها من كيد الملك الفاجر، وأرجعها سالمة مع جارية لتخدمها هى السيدة هاجر.

وخرج إبراهيم وزوجته وجاريتها هاجر من مصر الى الشام، ومعه أموال كثيرة وأنعام وعبيد من مصر، وتلقاه ملوك بيت المقدس معظمين له مكرمين واستقر بها مؤيداً منصوراً بفضل الله عز وجل.

هاجر وزواجها من إبراهيم عليه السلام

لقد كانت السيدة سارة عاقراً لا تلد، ونظراً لحب إبراهيم عليه السلام لها لم يتزوج عليها، ولكنه يرغب فى الذرية، ولأن سارة تحبه أيضاً حبًا ليس أنانيًا فقد وهبت له جاريتها «هاجر المصرية» كى يتزوجها ربما يرزق منها الذرية التى يرغبها.

ودخل إبراهيم على هاجر وحملت منه، وأنجبت له إسماعيل وكان قد بلغ من العمر حوالى ست وثمانين سنة، وأخذ إبراهيم عليه السلام هاجر وابنها الرضيع إلى أرض فاران وهى مكة المكرمة.

هاجر الزوجة المطيعة لزوجها

جاء إبراهيم بزوجته هاجر وابنهما إسماعيل وهو رضيع ووضعهما عند

البيت الحرام بمكة فى أرض غير ذات زرع ومعهما سقاة فيها بعض الماء، ثم مضى حيث جاء، فتبعته الزوجة الوفية المطيعة.

فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شىء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها.

فقالت له : الله أمرك بهذا؟

قال : نعم.

قالت : إذن لا يضيعنا. ثم رجعت.

واستقبل إبراهيم بوجهه البيت الحرام ورفع يديه ودعا ربه قائلاً:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(١).

ومضى إبراهيم عليه السلام عائداً إلى بلاده حيث زوجته الأولى سارة، وقد ترك ابنه الرضيع وزوجته حيث أمره الله بذلك، وظلت المطيعة لزوجها وربها مع ابنها الرضيع وحيدين فى تلك المنطقة الموحشة.. ياله من موقف وياله من إيمان عظيم.. نعم المرأة أنت أيتها السيدة الفاضلة المؤمنة..

وتمر الأيام قليلة وينفذ الماء من السقاية وعطشت وعطش الطفل، وهى حائرة ماذا تفعل؟! وتتعالى صراخات الطفل ويعلو بكاؤه، وجرت نحو جبل الصفا وصعدت تنظر لعلها ترى شيئاً، ونزلت وسعت حتى وصلت إلى جبل المروة ونظرت فلم ترى أحداً وفعلت ذلك سبعاً، فكان سعيها من المناسك المؤداة فى الحج والعمرة. وهو السعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط.. وفى الشوط السابع على المروة سمعت صوت ماء يفور، فنظرت فإذا بملك كريم عند الطفل وقد تفجر بئر ماء عذب.. هو زمزم.. فأسرعت إليه وجعلت تحوضه بيدها. وهكذا كان الله معها ولم يضيعها وهكذا يكون الظن بالله سبحانه وتعالى. وشربت هاجر وأرضعت وليدها وقال لها الملك: لا تخافى الضيعة فإن هاهنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه. وإن الله لا يضيع أهله.

(١) سورة إبراهيم (٣٧).

وكان البيت الحرام مرتفعاً مثل الربوة بقية ما بناه آدم وابنه شيث، وقد تأثر بطوفان نوح عليه السلام، ومرت بهما رفقة من قبيلة جرهم، واستأذنوا أم إسماعيل أن ينزلوا بجوارها، فوافقت وقالت لهم : نعم ولكن لا حق لكم فى الماء عندنا. ووافقوا على شرطها. وجاء أهل جرهم واستوطنوا مكة، وشب الطفل إسماعيل عليه السلام بينهم وتعلم العربية وتزوج منهم.

الاختبار الثانى لهاجر

بعد الامتحان الأول لها بأن تركها إبراهيم عليه السلام وابنها فى واد غير ذى زرع عند البيت الحرام، وحفر الملك الكريم لبئر زمزم، وبعد أن كبر الغلام وأصبح شاباً يسعى وبلغ من العمر ستة عشر عاماً. رأى إبراهيم عليه السلام رؤيا فى منامه أنه يذبح ابنه.. ورؤيا الأنبياء وحى ليست كرؤيا غيرهم من البشر.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٠٨) سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾(١).

وسارع إبراهيم إلى طاعة أمر ربه، وعرض الأمر على ابنه المؤمن الصادق المصدق لأمر ربه الذى شجع أباه على تنفيذ الرؤيا كما ذكرت الآيات القرآنية: ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ ولكن ما هو موقف الأم المؤمنة المطيعة هاجر؟

(١) سورة الصافات (٩٩ -١١٣).

لم يكن موقفها بأقل من موقف زوجها وابنها من الإيمان والتصديق والصبر، فقد جاء إبليس اللعين يحرضها على التدخل لمنع إبراهيم عليه السلام من ذبح ولده ولكنها رجمته بالحجارة كما فعل كل من إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام معه، وهذا من مناسك الحج.. رجمة إبليس الأصغر والأوسط والكبير بسبع جمرات، جعلها الله من مناسك الحج تكريما وإحياء لذكرى تلك المواقف العظيمة الإيمان لتلك الأسرة المؤمنة الصابرة.

ويأتى الفداء بكبش عظيم يأتى به ملك عظيم من الجنة مناديا إبراهيم عليه السلام.. يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين. ويكون هذا الفداء لهذا الذبيح أيضاً من مناسك الحج ويوم هذا اليوم عيداً لنا - هو عيد الأضحى.. ويكون هذا اليوم هو يوم النحر فى الحج الأكبر. وﷺ أجمعين.

وعاشت هاجر بعد ذلك تقوم على رعاية ابنها وتربيته وإبراهيم عليه السلام يزورها من الحين إلى الآخر، حتى توفيت رضي الله عنها ولبت نداء ربها راضية مرضية.

وماتت سارة أيضاً فى حياة زوجها بالشام ودفنت بمزرعة اشتراها إبراهيم عليه السلام بقرية الجبابرة بأرض كنعان فى حبرون كما ذكر ذلك الطبرى فى تاريخه.

زوجات إبراهيم عليه السلام بعد وفاة سارة

لما ماتت سارة بنت هاران، وقد ماتت قبلها هاجر على الأرجح، تزوج إبراهيم عليه السلام من امرأة من الكنعانيين تسمى قطوراً بنت يقطنى، وأنجبت له ستة من الأولاد هم: يقسان، زمران، ومديان، ويسبق، وسوح، وبسر.

وكان إبراهيم عليه السلام قد رزق من سارة بابنه إسحاق ومن قبل إسحاق قد رزق بإسماعيل ابنه الأكبر من هاجر عليهم السلام.

وانتشرت ذرية إبراهيم عليه السلام فى الأرض، فأما يقسان فعاش بنوه فى مكة، وأقام مدين بأرض مدين وسميت به. ومضى سائر الأولاد فى البلاد. وجعلت النبوة فى ذريته إلى خاتمهم ﷺ.

وقالوا أن إبراهيم تزوج بأمرة أخرى من العرب أيضاً تسمى حجور بنت أرهير وولدت له خمسة بنين هم: كيسان، وشورخ وأميم ولوطان، ونافس[1].

ولذلك يصير أولاد إبراهيم من زوجاته الاربع ثلاث عشر ولداً والله أعلم.

وتوفى إبراهيم عليه السلام وقد بلغ من العمر مائتين سنة وقيل مائة وخمس وسبعين سنة ودفن عند قبر زوجته سارة فى مزرعة حبرون. بعد حياة حافلة بالابتلاء والاختبار والصبر والإيمان ﷺ وسائر الأنبياء والرسل.

(١) تاريخ الطبرى.

٦

زوجتى نبى الله إسماعيل عليه السلام

- الزوجة الشاكية
- الزوجة الشاكرة المؤمنة

الزوجة الأولى الشاكية

بعد أن ترك إبراهيم عليه السلام ابنه الرضيع إسماعيل وأمه هاجر في مكة المكرمة عند البيت الحرام، وبعد إكرام الأم الصابرة المطيعة ببئر زمزم، ثم نزوح قبيلة جرهم إلى مجاورتها، وأصبحت تلك الأرض التي كانت غير آهلة بالحياة تدب فيها الحياة وقد انفجر فى أرضها الجدباء ماء عذب يجرى إلى يوم القيامة ماء هو طعمة طاعم وشفاء سقيم، ماء هو لما شرب له كما قال ﷺ، بعد أن استقر العيش بأم الطفل الرضيع وقد شب الطفل وتعلم اللغة العربية من جرهم، فلما بلغ مبلغ الرجال زوجوه بامرأة منهم هي عمارة بنت سعد بن أسامة بن أكيل العماليقي.

وماتت أمه هاجر رضي الله عنها، وجاء إبراهيم عليه السلام لزيارة ابنه إسماعيل عليه السلام فلم يجده، ووجد زوجته بالبيت وسألها :

- كيف حالكم؟

قالت الزوجة الشاكية :

- نحن بشر، نحن فى ضيق وشدة. وشكت الزوجة للأب ما هم فيه من ضيق العيش وذات اليد. فلم تحمد الله ربها على كل حال كما هو حال المؤمن دائما.

فقال لها الأب :

- فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه.

وجاء الابن البار المطيع وقد أنسى شيئاً فقال :

- هل جاءكم من أحد؟

قالت الشاكية :

- نعم جاءنا شيخ كبير - ووصفته له - فسألنا عنك فأخبرته. وسألنى كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا فى شدة.

قال الزوج:

- هل أوصاك بشيء؟

قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك.

قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك فالحقي بأهلك. وطلقها وتزوج منهم بأخرى[1].

وكانت الزوجة الثانية لإسماعيل عليه السلام من جرهم أيضاً يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي، وكانت زوجة شاكرة حامدة لله على كل الأحوال وهذا ما نجده واضح في لقائها للأب إبراهيم عليه السلام. فحين حضر لزيارة ابنه فلم يجده وسألها عنه قالت:

- خرج يبتغي لنا.

قال إبراهيم: كيف أنتم؟

قالت الزوجة الشاكرة:

- نحن بخير وسعة، ونحمد الله عز وجل على ما نحن فيه من خير ونعمة.

فقال الأب:

- وما طعامكم.

قالت الشاكرة:

- اللحم.

قال الأب:

- فما شرابكم

قالت: الماء.

(1) ابن كثير قصص الأنبياء بتصرف.

فقال لها: اللهم بارك لهم في اللحم والماء. فإذا جاء زوجك فأقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه.

وجاء الزوج إسماعيل عليه السلام وقال لزوجته: هل آتاكم من أحد؟

قالت الزوجة: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة -وأثنت عليه- فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته: أنا بخير..

قال الزوج: فأوصاك بشيء؟

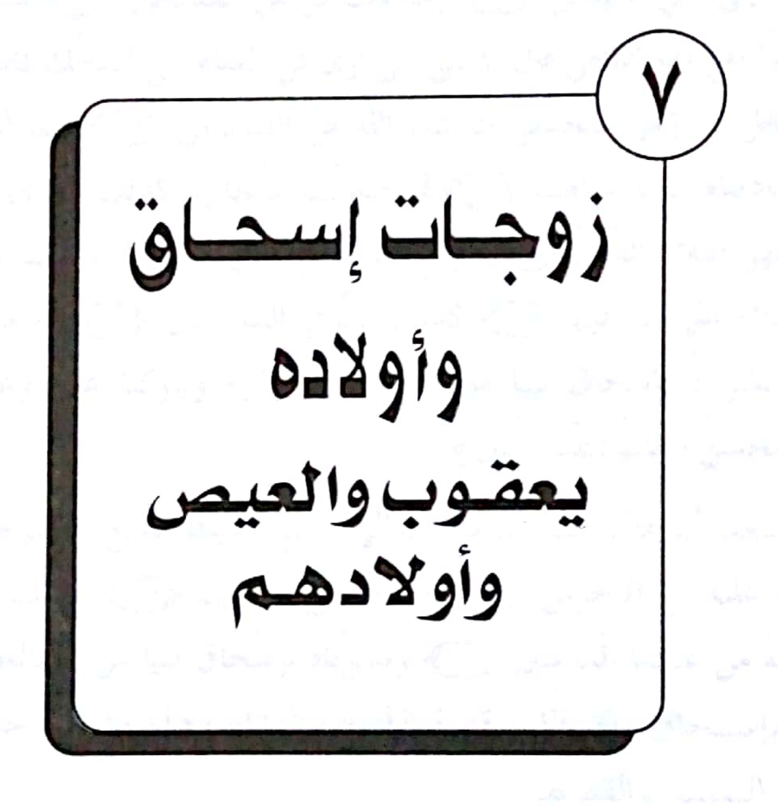
قالت نعم: هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك.

قال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك[1].

وقال ابن إسحاق ولد لإسماعيل من إبراهيم اثنا عشر رجلاً وأمهم السيدة بنت مضاض بن عمرو والجرهمي وهم:

غابت بن إسماعيل، وقيدر بن إسماعيل، وأدبيل بن إسماعيل، ومبشا بن إسماعيل، وسمع بن إسماعيل، دما بن إسماعيل، وماس بن إسماعيل، وأدد بن إسماعيل، وطور بن إسماعيل، ونفيس بن إسماعيل، وطما بن إسماعيل، وقيدمان بن إسماعيل. وجاءت العرب من نابت بن إسماعيل، وقيدر بن إسماعيل[2]. ومات إسماعيل بن إبراهيم فيما يزعمون ثلاثين ومائة سنة وقد نبأه الله عز وجل وأرسله إلى العماليق وقبائل اليمن. وقال ابن إسحاق إن إسماعيل لما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوج ابنته من العيص بن إسحاق وعاش مائة وسبعاً وثلاثين سنة ودفن عند قبر أمه في الحجر[3] بمكة المكرمة.

(1) المصدر السابق بتصرف.
(2) الطبري في تاريخه.
(3) تاريخ الأمم والملوك.


٧
زوجات إسحاق
وأولاده
يعقوب والعيص
وأولادهم

زواج إسحاق بن إبراهيم

منح الله إبراهيم عليه السلام وزوجته المطيعة الصابرة سارة بنت هاران بابن وصفه في قرآنه بالحلم هو إسحاق، وبعد ذلك بعد أن أنجب ابنه الأكبر إسماعيل من زوجته الثانية هاجر عليها السلام وكان ذلك بعد الرؤيا التى رآها فى المنام أنه يذبح إسماعيل وليس كما يزعم البعض من المفسرين وغيرهم من أهل الكتاب أن الذبيح هو إسحاق، قال تعالى في سورة الصافات: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾[1].

فبعد أن قال سبحانه وتعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ فجاء ذكر التبشير بإسحاق بعد ذكره قصة الذبح والفداء وهذا ما شرحه وانتصر له ابن كثير في التفسير والقصص.

ولما كبر إسحاق زوجه إبراهيم عليه السلام من زوجة صالحة هى رفقا بنت تبويل بن إلياس، وأنجبت له ولدين قيل أنهما كانا في بطن واحدة توأم هى: يعقوب والعيص[2].

(١) سورة الصافات (٩٩ - ١١٣).

(٢) تاريخ الطبرى.

وعاش إسحاق في حياة أبيه وولديه يعقوب والعيص، وتزوج يعقوب ابن إسحاق ولقبه إسرائيل من ابنة خاله ليا بنت لبان بن تبويل بن إلياس وولدت له روبيل ويسحر وشمعون ولاوى ويهوذا وزبالون وابنته دنيه، ثم تزوج بعد وفاة زوجته ليا بأختها راصيل بنت لبان وأنجبت له يوسف وبنيامين، وأنجب يعقوب من جارتين له اسمهما زلفة والأخرى بلهة أربعة هم : داني و ونفتالي، وجاد، وأشر.. وهم اثنى عشر رجلاً[1].

وذكر أهل الكتاب أن يعقوب عليه السلام تزوج بالأختين وجمع بينهما وكان ذلك حلالاً في وقته إلى نسخ فى عهد موسى عليه السلام.

وأما الابن الآخر لإسحاق وهو العيص وجاء من نسله الروم بنى الأصفر وكان قد تزوج من ابنة عمه نسمة بنت إسماعيل بن إبراهيم وأنجبت له الروم بن العيص.

وهكذا فإن أهل الغرب وبنى إسرائيل وبنى العرب أبناء عمومه. والله أعلم.

---

(١) المصدر السابق.

امرأة لوط عليه السلام

المرأة التى خانت زوجها نبى الله بكفرها برسالته ودعوته إلى الله وإعانتها قومها الفاجرين

قـوم لـوط عليه السـلام

إنهم أشر قـوم على مر التاريخ البـشرى أهل المؤتفكات وكـانوا خمس قرى: صبغة وصعرة وعمرة وروما وسدوم وهي القرية الكبيرة.

ويطلق عليها سدوم وسميت قرية قوم لوط.

فماذا من أمر القرية وأمر نبى الله لوط عليه السلام؟

لقد آمن لوط عليـه السلام وهو ابن أخ إبراهيم عليه السـلام، وقد آمن لوطاً بعمه إبراهيم عليه السلام فـهو لوط بن هاران بن آزر وقد هاجر مع عمه إبراهيم إلى الشام بعد خروجه من بابل ونزل لوط بالأردن، ونبأه الله وأرسله إلى قوم سدوم وكانوا أهل كفر وفاحـشة. فكانوا يستغنون بالرجال عن النساء ويأتون المنكر في ناديهم قـال تعالي على لسان لوط عليـه السلام: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾[1].

وقال أهل الـعلم: إنهم كانوا يقطعـون على المسافـر طريقه، ويفـعلون المنكر في ناديهم أى المكان الذى يجـتمعون ويتـسامرون فيـه، وقالوا عن هذا المنكر هو إيذاء المار بالطـريق أى الحديث بالسـوء عن الآخـرين وكذلك كـان يفعلون الفاحشة من إتيان الذكران علانية أي يجامع بعضهم بعضاً.

ياله من سوء وفاحشة، ورغم ما فـعلوه فقد أرسل إليهم الله جل وعلا رسولاً كريماً هو لوط عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله والتوبة عن فعل تلك المنكرات وأظهر لهم سوء فـعلتهم التى يفعلونها ولم يفعلهـا غيرهم من الأمم ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[2] ولكن القوم

---

(١) سورة العنكبوت (٢٨ - ٢٩).

(٢) سورة الأعراف (٨١).

استهـزءوا به وكذبوه تطاولوا عليه حتى قالوا له: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾(١). هكذا حال الدعاة إلى الله وما يلاقـونه فى سبيل الدعوة ولكن لوطاً مثل غيره من الرسل الكرام صبر واحتسب واستمر فى الدعوة إلى الله ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾(٢). وهكذا استمـر لوط يدعو قومهم وينـصحهم حتى أتى أمر الله فيهم.

زوجـة لوط وخيانتها

لم تكن خيانة زوجـة لوط لزوجها أمراً كالذى نعرفه مـن خيانة الزوجة لزوجها، وإنما كانت خيانتها هى عدم طاعـتها لزوجها النبى الصالح، وكفرها بما جاء به، بل إنها وافقت قومها، وكـانت تخبرهم بما يفعل لوط من إكرامه للضيوف الذين يضـيفهم لوط عليه السـلام كما هو العهد بعـمه إبراهيم عليه السـلام، الذى لقب بأبو الضـيفان فكان لا يأكل إلا مع ضـيف يستضيـفه فى بيته، هكذا كان لوط أيضاً.

وكانت تلك المرأة العـاصية لـربها ولزوجهـا والتى ضرب الله بها مـثلاً للذين كفـروا هى وامرأة نوح عليه السلام فى قـوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾(٣).

فكانت تلك الزوجة مـثل زوجة نوح عليه السـلام من العصيـان وعدم اتباع أمر زوجها رسول ربها ونبيه.

(١) سورة الأعراف (٨٢).
(٢) سورة الشعراء (١٦٠ - ١٦٦).
(٣) سورة التحريم (١٠).

وعندما أرسل الله سبحانه وتعالى ملائكته لهلاك قوم لوط عليه السلام، وقد قيل أن الله أخـبرهم أن لا يهلكوهم حتى يشهـد عليهم لوط. . وجاءت الرسل لوطاً - وكانوا جبريل وميـكائيل وإسرافيل - فى هيـئة شبـاب حسن المنظر، وكان لوط فى أرضه يعمل بها فأتوه فقالوا : إنا مضيفوك الليلة.

فانطلق بهم وقـال لهم: أما تعلمون ما يعمل أهـل هذه القرية؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض أناسـاً أخبث منهم، فمـضى معهم ثم قال الثـانية أى مثل قـوله الأول من شهادته على قومـه، ورأتهم زوجته وأخبـرها لوط عليه السلام ألا تخبر قومها. . ولكنها لم تستـمع له وخانته بأن أخبرت قومها بأمر الضيوف ذو الهيئة الحسنة الجميلة، فجاءوا إلى لوط يطلبون منه أن يخرج لهم ضيوفه كى يفعلون بهم الفاحشة.

وقيل أن الذى استقبل الرسل أول الأمر هى ابنة لوط وكان له ابنتان هما ريثا والأخرى رعزيا. . والله أعلم.

المهم أن القوم. . قوم السوء قد تجمعوا عند لوط بعد أن أخبرتهم زوجته ودلت على أمر ضـيوف زوجهـا وقالوا: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ

﴿٧٣﴾ **فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴿٧٤﴾ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴿٧٥﴾ وإنها لبسبيل مقيم ﴿٧٦﴾ إن في ذلك لآية للمؤمنين**﴾[1]. وقوله هؤلاء بناتي أي نساءهم وليس كما يظن البعض أنه عرض عليهم بناته. فكيف يعرض بناته على هؤلاء الأشرار ويأمر بالزنا أو حتى الزواج منهم وهم شرار الخلق عند الله!! فالمقصود ﴿**هؤلاء بناتي**﴾ أي نساء قومهم زوجاتهم كما قال بذلك المفسرون ومنهم ابن كثير والله أعلم.

قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم**﴾(٢). يرشدهم إلى غشيان نسائهم وهي بناته شرعاً، لأن النبي للأمة بمنزلة الوالد، كما ورد في الحديث كما قال تعالى: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم أزواجه أمهاتهم**﴾. وفي قول الصحابة والسلف: وهو أب لهم.

وضاق لوط عليه السلام ذرعاً بقومه وما يطلبون منه، وهو لا يستطيع حماية أضيافه. فيقول: ﴿**قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد**﴾[3].

وجاءت الإجابة من الملائكة الكرام مطمئنةً له: إن ركنك لشديد. قال تعالى ﴿**قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب**﴾[4].

وعلم لوط أنهم رسل الله وملائكته وأنه حق على قومه العذاب والهلاك، وحين دخل قومه على الأضياف الذين هم ملائكة الله طمست الملائكة على أعينهم فصاروا عمياناً. فخرجوا من داره يصرخون لمن بالخارج: سحرنا لقد جاءنا لوط بسحره.

---

(١) سورة الحجر (٥١ - ٧٧).
(٢) سورة هود (٧٨)
(٣) سورة هود (٨٠)
(٤) سورة هود (٨١)

ودعا لوط ربه: ﴿**رب نجني وأهلي مما يعملون**﴾[1]. وخرج لوط عليه السلام بابنتيه وزوجته العاصية وقد أظلم الليل وأرخى سدوله على القرية الظالمة، قال تعالى: ﴿**فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ﴿٨٢﴾ مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد**﴾[2]. واقتلع جبريل عليه السلام بطرف جناحه الأرض من قرارها وكانوا سبع قرى بما فيها وما عليها ورفع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة أصوات الديكة ونباح الكلاب. ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها. قال مجاهد: فكان أول من سقط منها أشرافها[3].

وقيل أن امرأة لوط مكثت مع قومها وقيل وهو الأرجح أنها خرجت معهم وفي الطريق خارج القرية حين وقع على قومها العذاب وسمعت صوت سقوط القرية فصرخت على قومها والتفتت إليهم فأصابها حجر من الحجارة المسومة فدمغها ولحقت بقومها، فقد كانت على دينهم وعيناً لهم فبئس العاقبة والمصير والحمد لله رب العالمين.

وهكذا خرج لوط سالماً من القرية الظالم أهلها ولم يؤمن له إلا اثنين فقط لله الأمر من قبل ومن بعد لا إله إلا هو سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة الشعراء (١٦٩).
(٢) سورة هود (٨٢ - ٨٣).
(٣) ابن كثير التفسير والقصص.

٩

زوجة يوسف عليه السلام المرأة التائبة لله

من هى تلك المرأة التى تزوجها نبى الله يوسف ابن يعقوب بن إبراهيم عليهم السلام

إمـرأة يـوسـف

وقبل الحديث عن زوجـة يوسف عليه السلام نتحـدث قليلاً عن الزوج يوسف بن يعقوب بن إبراهيم عليه السلام.

فهو مـن أولاد يعقوب -إسرائيل- عليـه السلام فقد ذكـرنا من قبل أن يعقوب عليـه السلام تزوج من أختين لخاله ليا وراحـيل ابنتا لبان، ووهبت له كل زوجة جارية منهـا فأنجب منهن جميعاً أولاده الاثنى عـشر، وكان يوسف عليه السلام وأخيه بنيامين من أم واحدة هى راحيل.

وتآمـر عليـه أخـوته لما رأوا من حب أبيـه له، وقـد رأى يوسف رؤيا حكاها إلى أبيـه وقد ذكرها القـرآن الكريم فى أول سورة يوسف قـال تعالى ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[1].

وأمره أبوه بكتمان الرؤيا خوفاً عليه أن يحسده أخوته وأن ينزغ الشيطان بينهم.

ولكن أخوة يـوسف قد أجمـعوا على أن يلقـوه في غيابـة الجب حتى

---

(١) سورة يوسف (١ - ١٠).

يأخذه البعض ويرحل بعيداً عنهم، ويخلو لهم أبيهم كما يريدون، وقد تم ما أرادوا وأخذوا يوسف وألقوه في الجب، وأخذته بعض القوافل التى كانت تسير بتجارتها إلى مصر وباعته إلى عزيز مصر ووزيرها الذى أعطاه إلى إمرأته.

وكان الوزير مديحى قطفير بن راحيب وكان ملك مصر يسمى الريان بن الوليد[1]. وامرأة العزيز تسمى راعيل بنت رمابيل ولقبها زليخا.

وعاش يوسف فى بيت العزيز مكرماً منعماً، حتى بلغ الشباب قيل ثمانية عشر عاماً وقيل ثلاثون وقيل أربعون والله أعلم.

يوسف وامرأة العزيز

كانت امرأة العزيز في غاية الجمال والحسن، وكذلك كان يوسف عليه السلام قد أوتى جمالاً وبهاءً، وأحبته امرأة العزيز حباً شديداً ملك عليها نفسها حتى إنها راودته عن نفسه، وغلقت أبواب القصر وقد لبست له أحسن الثياب وتزينت، فقد كانت زوجة العزيز المطاع فى البلاد وبنت أخت الملك.

ولكن يوسف النبى ابن النبى إبن النبى أبى ورفض وأبى بشدة ودفعها وتوجه إلى الباب هارباً منها، ولقى سيدها وزوجها عند الباب، وهنا ادعت عليه زوراً وبهتاناً أنه حاول التعدى عليها، ولكن الله أظهر براءته من ادعائها الكاذب بشهادة شاهد من أهلها، فقد كان قميصه قد مزق من الخلف وهذا دليل على أنها كانت هى الطالبة له والراغبة وهى التى حاولت النيل منه قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ

(١) قاله إبن إسحاق ونقله عن إبن كثير والطبرى.

سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[1].

وذاع خبر الواقعة وحب امرأة العزيز ليوسف فى المدينة وتحدثت به النسوة، وعلمت زوجة العزيز بذلك فجمعت النسوة اللاتى تكلمن وأحضرت لكل واحدة سكيناً وأمرت يوسف عليه السلام أن يخرج اليهم، فخرج إليهن وحين رأينه أكبرنه وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين دون أن يشعرن بألم، وقالن: حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم، ثم جاء التهديد الصريح من امرأة العزيز ليوسف عليه السلام. . إنه إما أن يستجيب لها أو تزج به فى السجن، وياله من تهديد، ولكن يوسف لم يأبه بهذا التهديد وأعلن أن السجن أحب إليه مما يدعونه إليه من الفاحشة. . قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2].

لقد بررت زوجة العزيز فعلتها أمام النسوة من كبائر القصر، بل لقد أيدوها فيما طلبت، وطلبن هن كذلك مثل طلبها. . ياله من فجور النسوة وكيدهن العظيم.

(١) سورة يوسف (٢٣ - ٢٩).
(٢) سورة يوسف (٣٠ - ٣٤).

ولكن الله القوى العزيز صرف عنه كيدهن، وبعد فترة قصيرة لم يكن أمام تلك الزوجة التى استحكمت عليها شهوتها إلا أن تدخل يوسف عليه السلام السجن عقاباً له على رفض أوامرها. وكان هذا رأى العزيز وامرأته حتى يظهرا أمام الناس أن يوسف هو الذى حاول أن يعتدى على سيدته امرأة العزيز، وهكذا يكون ظلم الحكام.

ويظل يوسف فى سجنه سنوات وكان معه فى السجن اثنين من خدام الملك أحدهما كان الساقى والآخر كان خباز الملك، وقد اتهموا فى جناية محاولة قتل الملك بالسم. ورأى كل واحد منهما رؤيا وطلبا من يوسف عليه السلام التفسير لما رأياه فيه من الصلاح والتقوى، وكان تفسيره لرؤياهما أن أحدهما سوف يقتل وتقطع رأسه وهو الخباز، والآخر سوف يخرج من السجن ويعود لعمله كساقى الملك، وطلب من الأخير أن يذكر قصته عند مولاه الملك.

ولكن الذى خرج ونجا من السجن نسى أن يذكر يوسف عليه السلام للملك، وتذكر بعد سنوات حين رأى الملك رؤيا أفزعته ولم يستطع حكماؤه وعلماؤه من تأويلها، قال تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (1).

وعندما جاءه الساقى لتفسير حلم الملك كما ذكر القرآن الكريم فسر له يوسف الرؤيا تفسيراً دقيقاً سليماً أعجب الملك، ولما أحاط الملك علماً بكمال

---

(1) سورة يوسف (٤٣ - ٤٩).

يوسف عليه السلام ورأى أن رأيه وفهمه سليم، طلب إحضاره، ولكن يوسف عليه السلام طلب من الملك قبل أن يقابله ويخرج من السجن أن يحقق بنفسه فيما حدث له من قصته مع امرأة العزيز والنسوة.

وبعد التحقيق واعتراف امرأة العزيز وكذلك النسوة ببراءة يوسف عليه السلام ولما ظهر للملك براءته ونزاهته، جعله من خاصته وأكابر دولته، وطلب منه يوسف أن يكون على خزائن مصر وأجابه الملك لذلك فأصبح يوسف عليه السلام وزير الملك.

زواجه بعد تولية الوزارة

وقال ابن كثير وابن جرير الطبرى فى تواريخهم: إن العزيز قطفير زوج زليخا قد مات، فزوجه الملك منها، فهى ابنة أخته، وأن يوسف عليه السلام وجدها عذراء لأن زوجها كان لا يأتى النساء.

وعاشت معه وقد امنت بربها وتابت من قبل عما صنعت معه، وأنجبت له : افرايم، منسا.

وذكر ابن إسحاق أن ملك مصر الريان بن الوليد أسلم على يدى يوسف عليه السلام والله أعلم.

وقيل أن عمر يوسف عليه السلام حين تزوج وخرج من السجن إلى الوزارة ثلاثون عاماً.

ثم جاء العام الذى يغاث فيه الناس كما فسر يوسف عليه السلام رؤيا الملك، ولكن خزائن الملك بفضل حكمة يوسف عليه السلام كانت مملوءة بالخير الوفير، وجاءه الناس من كل مكان يطلبون الطعام، وهو يعطيهم بمقدار كى تمر الأزمة الاقتصادية بسلام، وممن جاءوه أخوته، دخلوا عليه وهم لا يعرفونه وهو يعرفهم، فلم يخطر لهم ببال أن يكون أخوهم الذى باعوه عبداً يكون هو الوزير المتحكم فى خزائن مصر. قال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ

فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون (٥٨) ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين (٥٩) فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون (٦٠) قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون (٦١) وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون ﴾(١).

ويحكى القرآن الكريم وكتب التاريخ أن يوسف استطاع أن يكيد لأخوته حتى أحضروا له أخاه بنيامين، وهم لا يعرفونه، وعندها اشتد الأمر على أبيه يعقوب عليه السلام وكف بصره لحزنه على فراق ابنه يوسف وبنيامين، كشف يوسف لإخوته عن نفسه وأرسل قميصه إلى أبيه مع البشير كى يلقيه على وجهه ويعود إليه بصره، ويدخل عليه أبواه وأخوته بمصر فى ملكه وتتحقق الرؤيا التى رآها من قبل وهى أن اثنى عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له، فكان الأحد عشر كوكباً هم إخوته والشمس والقمر أبيه وأمه، وعاشوا جميعاً في رحاب أرض مصر حتى مات يعقوب فيها ونقل جثمانه ليدفن بالشام مع أبيه إسحاق بناءاً على وصيته.

ومات يوسف بمصر وقد بلغ من العمر مائة وعشر سنين وأوصى أن يحمل مع بنى إسرائيل إذا خرجوا من مصر فيدفن عند آبائه فحنط ووضع في تابوت، وظل بمصر حتى أخرجه معه موسى عليه السلام فدفنه عند آبائه بالمغارة فى بلاد الشام وصلى اللهم وسلم على أنبيائه ورسله أجمعين.

(١) سورة يوسف (٥٨ - ٦٢).

١٠

زوجة نبى الله أيوب عليه السلام

رحمة بنت أفرائيم ابن يوسف بن يعقوب عليهم السلام

الزوجة الوفية

الزوجيـــن الصـابريــن

الزوج هـــو أيـــوب عليـه السـلام قال ابن إسـحاق : كان رجـلاً من الـروم مـن سلالة العـيص بن إسحـــاق، فقـيـل أيوب بن موحى بن رازخ ابـن العيـص بـن إسـحاق بن إبراهيم عليـهم السـلام وهـذا هـو المشـهور فى نسبه.

وزوجته هى رحمة بنت إفرائيم وقيل ليا بنت منسا بن يعقوب.

فالزوج والزوجة من سلالة طيبة وهى سـلالة الأنبياء. فكان الزوج نبياً وكان كـما ذكر علمـاء التفسـير والتاريخ أنه رجـلاً كثيـر المال، يملك الأنعام والعبيد والمواشى والأراضى حتى قـيل أن أرض الثنيه من أرض حوران كانت ملكاً له. وأنجب أولادًا كثيرين. وعاش فى هذه النعمة سبعون سنة. ثم ابتلاه الله بالمرض الشـديد وسلبت منه نعمـة الله عليه ابتـلاءاً من الله له واختـباراً، وفقد كل بنيه وأهله إلا زوجته.

ودب المرض فى جسده حتى لم يبق منه عضـواً سليماً إلا قلبه ولسانه، ومع ذلك ظل صـابراً محتـسبـاً، يذكر الله وطال مـرضه حتى تركـه الناس، وخرج من بلده وألقـى فى مزبلة خارجـها، وانقطع عنه الناس ولم يبق مـعه سوى زوجته الصابرة الوفية، ترعى حقه وتوفى إحسانه وتخدمه، حتى انقطع عنها المال فـكانت تخدم الناس بالأجر وتـأتى إليه بالطعام وهـكذا ظل البلاء والابتلاء لهذا النبى الكريم وزوجته ما يقرب من ثمانية عشر عاماً حتى ضرب به المثل فى الصبر.

ولم يزد هذا البـلاء أيوباً إلا صبراً وحـمداً وشكراً لله. وهكذا الأنبـياء والصالحون أشد الناس ابتـلاء على قدر دينهم. قال ﷺ : **«أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل»**.

وقال أيضاً : **«يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان فى دينه صلابة زيد**

فى بلائه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة»[1].

وقالت له امرأته ذات يوم :

- يا أيوب لو دعوت ربك يفرج عنك.

قال أيوب : قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهل قليل لله أن أصبر له سبعين سنة.

واشتد البلاء فإذا بالناس الذين كانت تخدمهم امرأته بالأجر قد خافوا منها أن ينالهم المرض الذى أصاب أيوب عليه السلام، فأصبح ليس معها مال تأتى بالطعام به، فعمدت المرأة الصابرة المؤمنة إلى بيع ضفيرتها إلى بنات الأشراف بمقابل مادى كى تأتى إليه بالطعام، وأتت أيوب فقال لها : من أين لك هذا؟

فقالت : خدمت به أناساً.

فأنكر ذلك عليها ولم يأكل من طعامها حتى كشفت عن رأسها فرآه محلوقاً. فاشتد على أيوب ورفع يديه إلى ربه قائلاً فى ضراعة : «رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين»[2].

وقيل أنه كان لأيوب أخوان فجاءا يوماً فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه، فقاما من بعيد فقال أحدهما لصاحبه : لو كان الله علم من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا، فجذع أيوب من قولهما جزعاً لم يجزع مثله شىء قط. فقال: «اللهم إن كنت تعلم أنى لم أبت ليلة قط شبعاناً وأنا أعلم مكان جائع فصدقنى، فصدق من السماء وهما يسمعان .. ثم قال : «اللهم إن كنت تعلم أنى لم يكن لى قميصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقنى، فصدق من السماء وهما يسمعان .. ثم قال : «اللهم بعزتك .. وخر ساجداً .. فقال:

(١) رواه الدارمى فى سننه وأحمد فى مسنده والحاكم والترمذى وابن ماجه فى سننه.
(٢) ابن كثير بتصرف.

«اللهم بعزتك لا أرفع رأسى أبداً حتى تكشف عنى» فما رفع رأسه حتى كشف عنه[1]. وكان دعاء أيوب الذى ذكره الله جل وعلا فى القرآن ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[2]. إنما جاء بعد مرور ثمانى عشر سنة من البلاء وكان دعاؤه إنما عرضًا لحالته، ولم يكن دعاءً مباشراً لرفع البلاء، ففيه من الأدب والتأدب مع الله وتلك سمات الأنبياء عليهم السلام.

وجاءت الاستجابة الفورية من الله سبحانه وتعالى لعبده أيوب الذى صبر ولم استحى أن يدعو الله برفع البلاء بعد مرور تلك السنوات وكان يرجو الصبر أكثر من هذا.. كان شفاؤه من مرضه أن يغتسل بالماء ويشرب منه، إنه ماء أخرجه الله له من الأرض من تحت قدميه قال تعالى: ﴿**اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب**﴾ وعاد إليه جسده معافاً وتغير شكله، وحين جاءته امرأته لم تعرفه وهو على أحسن حال.. وقالت له وهى تنكره:

- أى بارك الله فيك! هل رأيت نبى الله هذا المبتلى؟ فوالله العلى القدير على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً. فقال لها : فإنى أنا هو.

وقال ابن عباس ﷺ : وألبسه الله حلة من الجنة، فتنحى أيوب وجلس فى ناحية فجاءت امرأته ولم تعرفه، فقالت : ياعبدالله أين ذهب هذا المبتلى الذى كا ها هنا؟ لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب...، وجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك أنا أيوب! قالت: أتسخر منى ياعبدالله! فقال: ويحك أنا أيوب قد رد الله على جسدى.

قال ابن عباس: «ورد الله عليه ماله وولده ومثلهم معهم».

وروى أحمد عن أبى داود الطيالسى وأيضاً ابن حبان عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «**لما عافى الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جراداً من ذهب فجعل يأخذ منه ويجعل فى ثوبه. قال: فقيل له: يا أيوب أما تشبع؟ قال: يارب ومن يشبع من رحمتك**».

(١) المصدر السابق رواية عن أبى حاتم.
(٢) سورة الأنبياء (٨٣).

قال تعالى: ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضُر وآتيناه أهلَه ومثلَهم معهم﴾(١). وقال أيضاً: ﴿ووهبنا له أهلَه ومثلَهم معهم رحمةً منّا وذكرى لأولي الألباب﴾(٢).

وقال ابن عباس عن امرأة أيوب: رد الله إليها شبابها وزادها حتى ولدت له ستة وعشرين ولداً ذكراً.

وكان أيوب قد حلف أن يضرب زوجته مائة سوط حين باعت ضفائرها لتأتي إليه بالطعام، وقيل لأن الشيطان عارضها في صورة طبيبة ووصف لها الدواء لأيوب فأتته فأخبرته فعرف أنه الشيطان، فحلف ليضربها مائة سوط. فلما عافاه الله أمره وأفتاه أن يأخذ ضغثا وهو نوع من الحطب ويجمعها كلها ويضربها ضربة ويبر بقسمه ولا يحنث.. وهكذا كانت رحمة الله بالزوجة الصابرة قال تعالى: ﴿وخُذ بيدك ضغثًا فاضرب به ولا تحنثْ﴾(٣). ثم عقب بالشهادة الإلهية له: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبدُ إنه أوابٌ﴾(٤).

نعم العبد أيوب عليه السلام وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بأرض الروم على دين الحنيفية ﷺ وعلى سائر الأنبياء والرسل.

---

(١) سورة الأنبياء (٨٤).

(٢) سورة ص (٤٣).

(٣) سورة ص (٤٤).

(٤) سورة ص (٤٤).

١١

زوجة نبي الله موسى عليه السلام

صفورة بنت يثرون ذات الفراسة

صفـــورة.. وموســى
اللقـــاء والإختبـــار

الزوج هو نبى الله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام.. ولد فى مصر وعاش بها وتربى فى قصر فرعون.. وترجع قصته كما تحكى لنا كتب السيرة والتاريخ أن فرعون مصر رأى فى منامه كأن ناراً قد أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بنى إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك، وجمع الكهنة وأهل العلم عنده وسألهم عن رؤياه، فقالوا: يولد غلام من بنى إسرائيل يكون سبباً لهلاكك وأهل مصر(١).

وأمر فرعون بقتل الغلامان التى تولد من بنى إسرائيل، ولما شكى له أهل مصر أن ذلك سيفنى الذكور من بنى إسرائيل الذين يخدمونهم، أمر بقتل الغلامان عام ثم تركهم عاماً وهكذا.

وولد موسى فى عام الذبح كما يحكى فى القرآن الكريم: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾(٢).

ونجا الله موسى من الذبح ثم أوحى إلى أمه أن تلقيه فى تابوت وتقذفه فى النهر كى يأخذه فرعون ليربيه فكانت المشيئة الإلهية والقدرة الربانية أن يربى فرعون قاتله وهو لا يدرى؟

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ

---

(١) ذكره السدى عن ابن عباس ونقله عنه ابن كثير فى تفسيره.

(٢) سورة القصص (١ - ٦).

ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴿٧﴾ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴿٨﴾ وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون﴾[١].

وبعد أن تربى موسى فى قصر فرعون وقتل أحد المصريين حيث استنجد به الذى من شيعته وأهله وعلم فرعون بما فعله موسى عليه السلام، وأشار عليه الناصحون أن يهرب إلى خارج مصر حتى لا يقتله فرعون لقتله المصرى.

قال تعالى: ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين ﴿١٤﴾ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ﴿١٥﴾ قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴿١٦﴾ قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين﴾[٢].

وخرج موسى عليه السلام من مصر خائفًا يترقب، حتى وصل إلى مدينة مدين وهم قوم النبى شعيب أصحاب الأيكة. ووجد موسى القوم يجتمعون عند بئر لهم عليها صخرة عظيمة والرعاة حولها بماشيتهم وأغنامهم يريدون أن يرفعوا الصخرة كى يسقوا أغنامهم من الماء، ومن دونهم امرأتان معهما أغنامهما وقد وقفا على جنب حيث ينتهى الرعاة من رفع الصخرة، وسالهما موسى عن أمرهما فقالتا له: إن أباهم شيخ كبير وهما لا يسقيان حتى ينتهى الرعاة من سقاية أغنامهم، فتقدم موسى نحو الصخرة فرفعها بمفرده وسقى لهما أغنامهما وانصرف إلى ظل شجرة وجلس تحتها وقال ﴿رب إنى لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ وقد سمعت إحدى المرأتين قوله وقد وصل به الجهد والجوع مبلغاً عظيماً.

---

(١) سورة القصص (٧ - ٩).

(٢) سورة القصص (١٤ - ١٧).

قال تعالى: ﴿فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ﴿٢١﴾ ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ﴿٢٢﴾ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴿٢٣﴾ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلي من خير فقير﴾[١].

ولم يمضى وقت طويل حتى عادت إليه إحدى المرأتين تدعوه لمقابلة أبيها.

هل قابل موسى عليه السلام شعيب النبى

ثار الخلاف بين المفسرين حول الذى قابله موسى عليه السلام فى مدين وهو والد المرأتين اللتين سقا لهما، هل هو شعيب النبى صاحب مدين أم هو غيره؟ المشهور من الكثيرين أنه شعيب صاحب مدين ونبيهم نص على ذلك الحسن البصري ومالك بن أنس ولكن الحديث الذى استندوا إليه قال عنه ابن كثير فيه نظر، وقالوا أن شعيب عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه وأنه قابل موسى وتزوج ابنته.

وروى ابن أبى حاتم عن الحسن البصرى أن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالنبى صاحب مدين وقيل أنه ابن أخى شعيب وقيل ابن عمه وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب وقيل أن اسمه يثرون وهو عند أهل الكتاب : يثرون كاهن مدين أى كبيرها وعالمها.

وقال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبدالله: اسمة يثرون وزاد أبو عبيدة عن قول ابن عباس : وهو ابن أخى شعيب زاد ابن عباس : صاحب مدين[٢].

---

(١) سورة القصص (٢١ - ٢٤).

(٢) ابن كثير بتصرف والطبرى وغيرهما.

فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴿٨﴾ وقالت امرأت فرعون قرت عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون﴾[1].

ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴿٧﴾

وبعد أن تربى موسى فى قصر فرعون وقتل أحد المصريين حيث استنجد به الذى من شعيته وأهله وعلم فرعـون بما فعله موسى عليه السلام، وأشار عليه الناصحون أن يهرب إلى خارج مصر حتى لا يقتله فرعون لقتله المصرى.

قال تعـالى: ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين ﴿١٤﴾ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ﴿١٥﴾ قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴿١٦﴾ قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين﴾[2].

وخرج مـوسى عليه السـلام من مصر خـائفا يترقـب، حتى وصل إلى مدينـة مدين وهم قـوم النبى شعـيب أصحاب الأيـكة. ووجد موسـى القوم يجتمعون عند بئر لهم عليها صخرة عـظيمة والرعاة حولها بماشيتهم وأغنامهم يريدون أن يرفعوا الـصخرة كى يسقوا أغنامـهم من الماء، ومن دونهم امرأتان معهما أغنـامهما وقد وقفا على جنب حيث ينتـهى الرعاة من رفع الصخرة، وسألهمـا موسى عن أمرهما فقالتـا له: إن أباهم شيخ كبير وهما لا يـسقيان حتى ينتـهى الرعاة من سقاية أغنامـهم، فتقدم موسى نحـو الصخرة فرفـعها بمفرده وسقى لهما أغنامهما وأنصرف إلى ظل شجرة وجلس تحتها وقال ﴿رب إنى لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ وقد سمعت إحـدى المرأتين قوله وقد وصل به الجهد والجوع مبلغاً عظيماً.

(١) سورة القصص (٧ - ٩).
(٢) سورة القصص (١٤ - ١٧).

قال تعالى: ﴿فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ﴿٢١﴾ ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ﴿٢٢﴾ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴿٢٣﴾ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلي من خير فقير﴾[1].

ولم يمضى وقت طويل حـتى عادت إلـيه إحـدى المرأتين تدعوه لمقـابلة أبيها.

هل قابل موسى عليه السلام شعيب النبى

ثار الخلاف بين المفسرين حول الذى قـابله موسى عليه السلام فى مدين وهو والد المرأتين اللتين سقا لهما، هـل هو شعيب النبى صاحب مدين أم هو غيره؟ المشهـور من الكثيرين أنه شعيب صاحب مـدين ونبيهم نص على ذلك الحسن البصرى ومالك بن أنس ولكن الحـديث الذى استندوا إليه قال عنه ابن كثير فيـه نظر، وقالوا أن شعيب عاش عمراً طويلاً بعـد هلاك قومه وأنه قابل موسى وتزوج ابنته.

وروى ابن أبى حاتم عن الحسن البصرى أن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالنبى صاحب مدين وقيل أنه ابن أخى شعيب وقيل ابن عـمه وقيل رجل مؤمن من قوم شعـيب وقيل أن اسمه يثرون وهو عند أهل الكتاب: يثرون كاهن مدين أى كبيرها وعالمها.

وقال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبدالله: اسمة يثرون وزاد أبو عبيدة عن قول ابن عباس: وهو ابن أخى شعيب زاد ابن عباس: صاحب مدين[2].

(١) سورة القصص (٢١ - ٢٤).
(٢) ابن كثير بتصرف والطبرى وغيرهما.

والحقيقة التى لا مراء فيها أنه رجل صالح من أهل مدين . . قد يكون قريب الصلة والنسب بالنبى شعيب وهو من أتباع دينه، وشعيب النبى عليه السلام أرسل إلى قومه مدين وذلك بعد لوط عليه السلام وهلاك قومه وقيل فى نسبه شعيب بن يشخر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ويقال شعيب بن صيفور بن عيفا بن مدين بن إبراهيم . . فهو من نسل إبراهيم عليه السلام . . وقيل أنه ممن آمن مع إبراهيم عليه السلام وتزوج بابنة لوط عليهم السلام، والله أعلم.

وقال الطبرى فى تاريخه : اسم الجارتين ليا وصفورة وامرأة موسى صفورة ابنة يثرون كاهن مدين أى عالمها.

وقال أيضاً عن أبى عبيدة : كان الذى استأجر موسى اسمه يثرون ابن أخى شعيب النبى . وقيل عن ابن عباس أن اسمه : يثرى . والله أعلم .

موسى وزواجه من ابنة الرجل الصالح

وحين أرسل الرجل الصالح إلى موسى يدعوه كى يجازيه على ما فعله، قالت له إحدى ابنتيه مشيرة عليه بالرأى : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين.

قال لها الأب : وما علمك بهذا؟

قالت : إنه رفع الصخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة، وإنه لما جئت معه تقدمت أمامه فقال : كونى من ورائى، فإذا اختلف الطريق فاحذفى لى بحصاة أعلم بها كيف الطريق.

قال ابن مسعود : أفرس الناس ثلاثة صاحب يوسف حين قال لامرأته : أكرمى مثواه، وصاحبة موسى حين قالت : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين، وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب[1].

(١) ابن كثير القصص.

قال تعالى : ﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين (٢٥) قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين (٢٦) قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين (٢٧) قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل ﴾[1] .

وهكذا عرض الأب أن يزوجه إحدى ابنتيه مقابل أن يعمل له فى رعى الغنم ثمانى سنوات أو عشر سنوات أى الأجلين. ووافق موسى عليه السلام وتزوج من ابنة الرجل الصالح وهى التى أشارت على أبيها باستئجار موسى عليه السلام.

قال ابن عباس : الجارية التى دعته هى التى تزوج بها. فأمر إحدى ابنتيه أن تأتيه بعصا فأتته بعصا، وكانت تلك العصا عصا استودعها إياه ملك فى صورة رجل، فدفعها إليه، فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها، فلما رآها الشيخ قال لها : لا . . أئته بغيرها، فألقتها، فأخذت تريد أن تأخذ غيرها فلا يقع فى يدها إلا هى، وجعل يردها فكل ذلك لا يخرج فى يدها غيرها، فلما رأى ذلك عمد إليها فأخرجها معه فرعى بها. ثم إن الشيخ قدم وقال: كانت وديعة: فخرج يتلقى موسى، فلما لقيه قال: أعطنى العصا. فقال موسى: هى عصاى. فأبى أن يعطيه، فاختصما بينهما ثم تراضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما، فأتاهما ملك يمشى فقضى بينهما فقال: ضعاها فى الأرض فمن حملها فهى له، فعالجها الشيخ فلم يطقها، وأخذها موسى بيده فرفعها، فتركها له الشيخ، فرعى له عشر سنين.

وعن الأجلين إيهما قضى موسى هل ثمانى سنوان أم عشر سنوات،

(١) سورة القصص (٢٥ - ٢٨).

عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «سألت جبريل: أى الأجلين قضى موسى؟ قال: أتمهما وأكملهما»[1].

وبعد قضاء الأجل أراد موسى أن يفارق الرجل الصالح، فأعطاه بعض الغنم، وسار موسى بأهله فى سيناء ومعه أهله والغنم التى أخذها من الرجل الصالح والد زوجته، وعند اللقاء والرسالة عند طور سيناء.. قال تعالى: ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴿٢٥﴾ قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴿٢٦﴾ قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين ﴿٢٧﴾ قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل ﴿٢٨﴾ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ﴿٢٩﴾ فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴿٣٠﴾ وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ﴿٣١﴾ اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين﴾[2].

وقد قصد موسى بالذهاب إلى سيناء رؤية أهله وهو مختف.. وكان الجو بارداً مظلماً، ورأى ناراً عظيمة فى جانب الطور، وهو الجبل الغربى منه على يمينه.. فقال لأهله: ﴿امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون﴾. قيل: إنه رأى النار بمفرده لأنها لم تكن نار وإنما نوراً.

فلما جاء حيث شاهد النار نودى من قبل الحق سبحانه وتعالى: ﴿فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين﴾ سورة النمل.

(1) رواه الطبرى فى تاريخه والحاكم وابن كثير في التفسير والطبرانى وضعفه.

وأمره الله عز وجل بخلع نعليه وقال له:

- يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم.

- إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى.

وأخبره الله تعالى أن هذه الدنيا ليست دار قرار وإنما هى دار اختبار، وإن الدار الباقية هى الآخرة يوم القيامة.

ثم سأله على سبيل الاستئناس:

وما تلك بيمينك يا موسى؟

قال: هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى.

قال: ألقها يا موسى.

فإذا هى حية تسعى.

فخاف موسى وهرب، فأمره الله عز وجل أن يبسط يده وأخذها من ذنبها، فلما أمسكها ارتد عصا كما كانت. ثم أمره الله عز وجل أن يدخل يده فى جيبه ثم أمره بنزعها فإذا هى تتلألأ مثل القمر بياضاً من غير سوء، ثم قال له: إن هذان برهانان حين تأتى إلى فرعون كى تخبره أنك رسول ربك إليه، كى تأخذ بنى إسرائيل وتخرج من العذاب الذى لحق بهم من فعل فرعون وقومه.

قال موسى عليه السلام فيما ذكره القرآن الكريم: ﴿قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون ﴿٣٣﴾ وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون ﴿٣٤﴾ قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾[1].

ثم سأل موسى ربه أن يشرح له صدره وييسر له أمره ويحلل عقدة من

(1) سورة القصص (٣٣ - ٣٥).

لسانه يفقه قوله.. وذلك لأنه أصيب فى لسانه لثغة بسبب تلك الجمرة التى وضعت على لسانه وهو صغير حين جاءوا به إلى فرعون وأراد اختبار عقله حين أخذ بلحيته وهو صغير وأراد قتله فقالوا له: إنه صغير لا يعقل.

﴿هارون أخي (٣٠) اشدد به أزرى (٣١) وأشركه فى أمرى (٣٢) كي نسبحك كثيرا (٣٣) ونذكرك كثيرا (٣٤) إنك كنت بنا بصيرا (٣٥) قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾[1]

وعاد موسى عليه السلام إلى أهله وحكى لهم ما حدث له، وفرحت بذلك زوجته التى أيدته وشجعته فقد تحققت فراستها فيه - فكانت عوناً له حين عاد إلى أهله، وحين قابل فرعون وقومه، وحدث ما حدث وحكاه لنا القرآن الكريم من رفض فرعون الانصياع لأوامر الحق سبحانه وتعالى وامتنع عن إخراج بنى إسرائيل وأرسالهم مع موسى حيث أمره الله. قال تعالى ﴿وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين (١٠) قوم فرعون ألا يتقون (١١) قال رب إنى أخاف أن يكذبون (١٢) ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل إلى هارون (١٣) ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون (١٤) قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون (١٥) فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين (١٦) أن أرسل معنا بنى إسرائيل (١٧) قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين (١٨) وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين﴾[2].

وانتهى عناد فرعون بأن هلك هو ومن معه فى البحر ونجا الله بنى إسرائيل من ظلم فرعون، وكان ماكان من أمر قوم موسى معه من عناد وكفر بعد أن نجاهم الله سبحانه وتعالى من ظلم فرعون لهم ماحكاه القرآن وذكره فى آيات كثيرة، وعاش موسى عليه السلام مائة وعشرين عاماً كما ذكره الطبرى فى تاريخه، وعاشت معه المرأة المؤمنة ذات الفراسة الثاقبة رضي الله عنها حتى توفاه الله على ذلك وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة طه (٣٠ - ٣٦).

١٢

زوجة نبى الله داود عليه السلام

الزوجة المائة

داود وزوجته رقم مائة

هو داود بن إيشى بن عـويد بن باعز بن سلمـون بن نحشـون بن عمى نادب بن رام بن حـصرون بن فـارض بن يهـوذا بن يعقـوب بن إسحـاق بن إبراهيم(١).

كان قـصيراً. قليل الشـعر طاهر القلب، أتاه الله النبـوة والملك، وقتل على يده جـالوت ملك العـمـاليق، وقد اخـتـاره الله على علم وأنزل عليـه الزابور، قال تعالى: ﴿ **وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء** ﴾.

وذكر السـدى فيـما يرويه أن داود عليـه السلام كـان أصغـر أولاد أبيه وكانوا ثلاثة عـشر ذكراً، كـان سمع طالوت ملك بنى إسـرائيل وهو يحرض بنى إسـرائيل على قتل جـالوت وجنوده وهو يقول من قـتل جالوت زوجـته بابنتى وأشركتـه فى ملكى، وكان داود يرمى بالقذافة وهو المقلاع رميـاً عظيماً فـبينمـا هو سـائر مع بنى إسرائـيل إذ ناداه حجـراً إن خـذنى فإن بى تقـتل جالوت، فأخذه ثم حجر آخر كذلك ثم آخر كذلك، فأخذ الثلاثة فى مخلاته فلما تواجه الصفان برز جالوت ودعا إلى نفسه فتقدم إليه.داود فقال له: ارجع فإنـى أكره أن أقـتلك، فقـال داود: لكنى أحب قتلك وأخـذ تلك الأحـجار الثلاثة فوضعـها فى القذافة ثم أدارها فصارت الثـلاثة حجراً واحداً، ثم رمى بها جالوت ففلق رأسه وفر جيشه منهزماً، فوفى له طالوت بما وعده، فزوجه بابنتـه، وأجرى حكمـه فى ملكه وعظم داود عليـه السلام عند بنى إسـرائيل وأحبـوه ومالوا إليه أكـثر من طالوت، فـذكروا أن طالوت حسـده وأراد قتله واحتال على ذلك فلم يصل إليه، وجـعل العلماء ينهون طالوت عن قتل داود فتسلط علـيهم فقتلهم حتى لم يـبق إلا القليل، ثم حصل له توبة وندم وأقلع عمـا سلف وجعل يكثـر البكاء ويخرج إلى الجـبانة فـيبكى حتى يـبل الثرى بدموعه فـنودى ذات يوم من الجبانه : أن ياطالوت قتلنا ونحن أحـياء وآذيتنا ونحن أموات، فـازداد لذلك بكاءه وخوفه واشـتد وجله ثم جـعل يسأل عن

عالم يسـأله عن أمر وهل له من توبة؟ فـقيل له: وهل لقيت عـالماً! حتى دل على امرأة من العابرات فأخذته فذهبت بـه إلى قبر يوشع عليه السلام، قالوا فدعت الله فقام يوشع من قبره. فقال: أقامت القيامة؟ فقالت لا، ولكن هذا طالوت يسألك : هل من توبة؟

فقال: نعم ينخلع من الملك ويذهب فيقـاتل فى سبيل الله حتى يقتل ثم عاد ميتاً. فترك طالوت الملك لداود عليه السلام وذهب مع أولاده الثلاثة عشر فقاتلوا فى سبيل الله حتى قتلوا [1].

وقال العقيلى : إنهـا أتت به إلى قبر شمويل فعاتبه على ما صنع بعده من الأمور. قال ابن كثير : وهذا أنسب ولعله إنما رآه فى المنام لا أنه قام من القبر حياً فإن هذا إنما يكون معجزة لنبى وتلك المرأة لم تكن نبية والله أعلم.

وما ذهب إليه ابن كثير أقرب إلى الواقع والمعقول والشرع.

قال تعالى: ﴿ **وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين** ﴾ [2].

وأسبغ الله على دواود من فـضله أن جعل الجبـال والطير يسبحن معه وعلمه صناعـة الدروع من الحديد. فقد جـعل له الحديد لين حتى كـان يفتله بيده دون حاجة إلى نار أو مـطرقة. قال تعالى: ﴿ **واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب. إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق والطير مشحورة كل له أواب، وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** ﴾.

قال قتاده : أعطى قـوة فى العبادة وفقهاً فى الإسـلام وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر.

(1) ذكره ابن جرير الطبرى فى تاريخه بإسناده وقال ابن كثير بعد أن أورده فى القصص: وفى بعض هذا نظر ونكارة والله أعلم. وذكـر الطبرى فى تاريخـه أخبـاراً كثيـره فحـواها ما ذكـرناه وقال ابن إسحـاق: إن النبى الذى بعث وأخبر طالوت بالتـوبة هو اليـسع بن أخطوب والله أعلم.

(2) سورة البقرة (٢٥١).

قال ﷺ : «**أحب صـلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيـام إلى الله صيـام داود كان ينام نصف الـليل ويقوم ثلثـه وينام سدسـه وكان يصـوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى**»[1].

وتزوج داود عليه السلام مائة امرأة وكانت مدة حكمه أربعون عاماً.

ذكـــر زواجـــه بالمائـة

ذكر المفسـرون وأصحاب التاريخ قـصصاً حول زواج داود عليـه السلام بالزوجة المائة التى قيل: إنها أم ابنه سليمان عليهما السلام. . وسميت بزوجة أوريا وهو أحد قواده أو جنوده، ومعظم هذه القـصص من الإسرائيليات، قال عنها ابن كـثير: ذكر كـثير من المفسرين من السلف والخلف ها هنا قصـصاً وأخبـاراً أكثـرها إسرائيليـات. ومنها مـاهو مكذوب لا مـحالة. وذكر قـوله تعالى: ﴿ إذ دخلوا على داوود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط (٢٢) إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب (٢٣) قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب (٢٤) فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ [2].

وقيل أن إسمها سارة أو آسيه أو كليشمة، ولم يثبت صحة ذلك.

وما ذكره المفسـرون حول تفسيـر تلك الآيات أن داود عليه السلام رأى امرأة ذات يوم وهو على سطح داره وهى تستحم وأعجبـته، وعلم أن زوجها فى الجيش واسمة أوريا وتمنى داود أن يتزوجهـا، فأرسل أوريا إلى القتال أكثر من مرة حتى قتل، وتزوج داود عليـه السلام بزوجة أوريا، ثم أرسل الله إليه

(1) رواه البخارى ومسلم فى صحـيحيهما والشافعى وابن مـاجه وأحمد فى مسنده والدارمى وابن عساكر فى تاريخه.

(2) سورة ص (٢٢ - ٢٥).

ملكان يختصمان إليه كما ذكرت الآيات وحكم داود للذى له نعجة واحدة، ثم رأى الملكان يصعدان إلى السماء فعلم أنه فتن وتاب إلى الله فظل يبكى أربعون يوماً وهو ساجد حتى تاب الله عليه.. ولم يصح من هذه الروايات شيئاً ونحن نقف أمام الآيات والله أعلم بالمراد.

وذكر ابن كثير عن محمد بن سعد، أن اليهود قالت لما رأت النبى ﷺ يتزوج النساء: انظروا إلى هذا الذى لا يشبع من الطعام ولا والله ما له همة إلا إلى النساء إن الله أنزل قوله: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ وقوله: ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وإتيناهم ملكاً عظيماً﴾ يعنى ما آتى الله سليمان بن داود كانت له ألف امرأة سبعمائة مهدية وثلاثمائة سرية. وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة منهن امرأة أوريا أم سليمان بن داود التى تزوجها بعد الفتنة.

ولم يذكر التاريخ أى مواقف لها إلا أننا نذكرها هنا لما حام حولها من القصص والإسرائيليات التى لم تثبت فى حق نبى الله داود عليه السلام، والله أعلم.

وذكر عنها ابن كثير ما قال النبى ﷺ: «**قالت أم سليمان بن داود: يابنى لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيراً يوم القيامة**» رواه ابن ماجه، وقال عنها ابن كثير كانت من العابدات الصالحات رضي الله عنها وأرضاها.

١٣

زوجة سليمان بن داود عليهما السلام بلقيس بنت السيرج

بلقيس ذات الفراسة

ورث سليمان بن داود ملك أبيه والنبوة، وأعطاه الله مالم يعطيه كثيراً من الأنبياء فعلمه لغة الطير والحيوانات وسخر له الجن والشياطين يعملون لأمره ما يشاء.

قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾[1].

وحشر الله له جنوده من الجن والإنس والطير يعملون بأمره ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾[2].

وذات يوم علم سليمان عليه السلام من أحد جنوده من الطير وهو الهدهد أن هناك مملكة باليمن تحكمها امرأة تسمى بلقيس وأن قومها يعبدون الشمس من دون الله، قال تعالى ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝٢٠ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٢١ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ۝٢٤ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝٢٥ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[3].

قال الحسن البصري: إن المرأة التى كانت تملك القوم هى بلقيس بنت سراحيل ملكة سبأ فى أرض يقال لها مأرب بالقرب من صنعاء. وقال ابن كثير: هى بلقبس بنت السيرج وكان أبوها من أكابر الملوك، وما ذكر عن زواج أبوها من إحدى بنات الجن لم يصح منه شيئاً.

---

(١) سورة النمل (١٦).
(٢) سورة النمل (١٧).
(٣) سورة النمل (٢٠ - ٢٦).

وأرسل سليمان بن داود عليهما السلام رسالة إلى بلقيس يدعوها إلى الإسلام أو الحرب. قال تعالى: ﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴿٢٨﴾ قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم ﴿٢٩﴾ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿٣٠﴾ ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين ﴿٣١﴾ قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ﴿٣٢﴾ قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين ﴿٣٣﴾ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ﴿٣٤﴾ وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ﴿٣٥﴾ فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴿٣٦﴾ ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾[1].

وهنا ظهرت فراسة بلقيس حيث أشارت على قومها بالصواب والرأى الرشيد، وبعد أن أرسلت إلى سليمان بالهدايا وردها إليها، علمت أنه ليس ملكاً عادياً وإنما هو نبي من عند الله، وأسلمت بلقيس وأعلنت إسلامها في قصر سليمان لله رب العالمين.

وأراد سليمان بن داود اختبار ذكائها وفراستها فأمر أن يؤتى العرش الذى هو سرير ملكها وكان عظيم الشأن فقال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وقال الذى عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، وجاء بالعرش أمام سليمان فأمر بالعرش فنكل أي غيروا بعض معالمه.. وحين حضرت بلقيس سألها.

- أهكذا عرشك؟

أجابت بذكاء ودبلوماسية: كأنه هو.

وكان سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج وعمل ممره في الماء وجعل عليه سقفاً من زجاج، وجعل فيه السمك وغيره من دواب الماء، وأمرت

(١) سورة النمل (٢٨ - ٣٧).

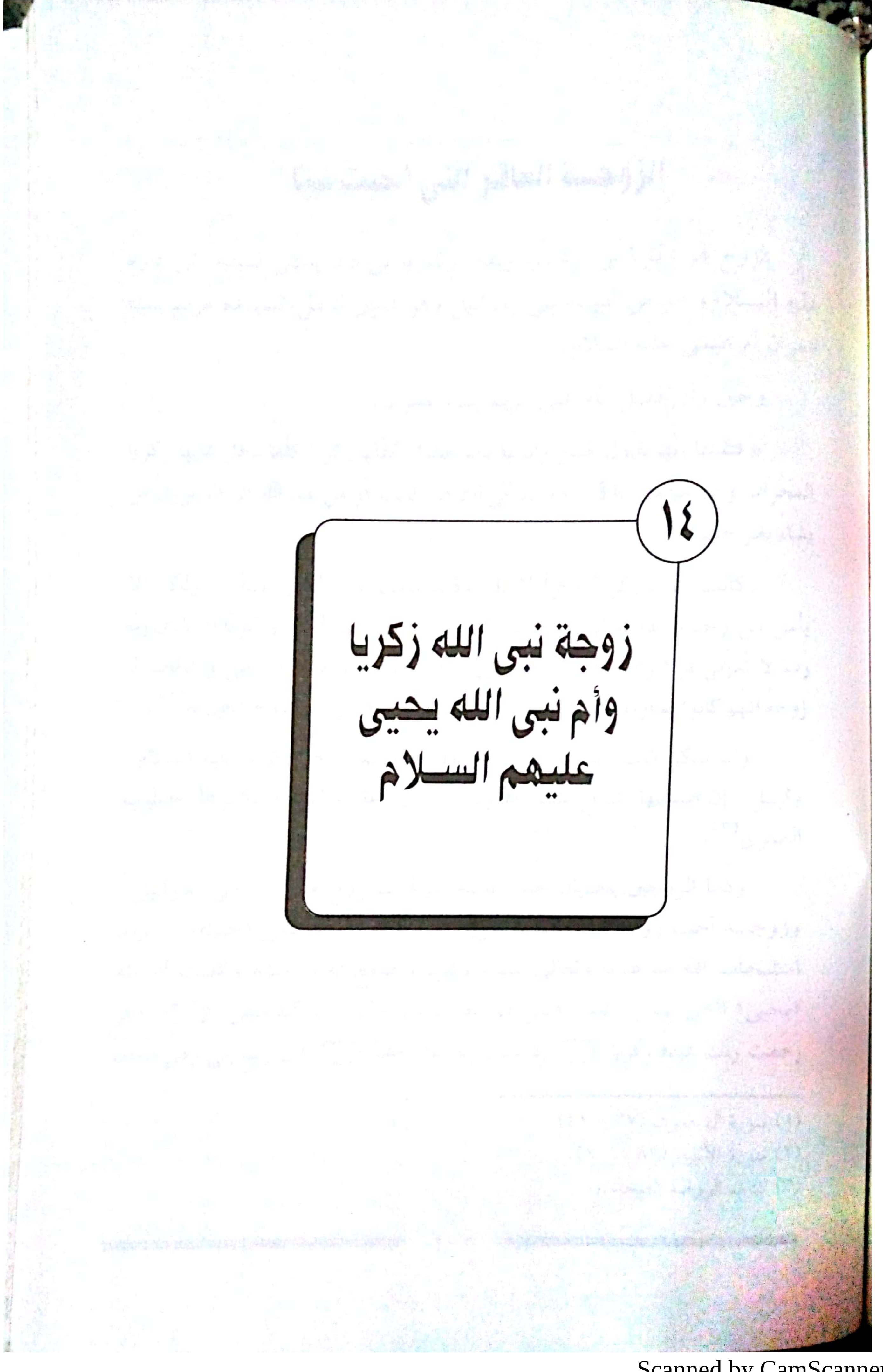
بلقيس بالدخول وسليمان جالس على سريره فلما رأته حسبته لجة أي ماء وتراب فكشفت عن ساقيها، قال سليمان: إنه صرح ممرد من قوارير.. فأعلنت إسلامها وقالت:

- ربى إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

وأراد سليمان الزواج بها وكان قد رأى أن بساقيها شعراً فأراد أن تزيله بالموسى فرفضت فأشار الجن عليه وصنعوا لها النوره وصنعوا له الحمام.

وذكر الثعالبى وغيره أن سليمان لما تزوجها أقرها على مملكة اليمن وردها إليها وكان يزورها فى كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على البساط وأمر الجان فبنوا له ثلاثة قصور باليمن «غمدان وسالحين وبيتون» والله أعلم.

وروى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن دهب بن منبة أن سليمان لم يتزوجها بل زوجها ملك همدان وأخرها على ملك اليمن ولكن ابن كثير رجح زواجها من سليمان بن داود وقال: أشهر وأظهر والله أعلم.


١٤
زوجة نبى الله زكريا
وأم نبى الله يحيى
عليهم السلام

الزوجة العاقر التى أنجبت نبيا

الزوج هو زكريا بن برضيا ويقال زكريا بن دان ينتهى نسبه إلى داود عليه السلام، هو من أنبياء بنى إسرائيل وهو الذى كفل السيدة مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام.

وحين رأى فضل الله على مريم بنت عمران.

﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[1].

وكانت امرأة زكريا عاقراً لا تلد وقد بلغت من العمر عتياً.. ولكن لا يأس من رحمة الله تعالى - ودعا زكريا ربه دعاء خفيا!! ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين (٨٩) فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾[2].

ولم تذكر كتب التفسير والتاريخ معظمها اسم زوجة زكريا عليه السلام. وقيل: إن اسمها إشاع بنت فاقوذا أم يحيى عليه السلام ذكرها الخطيب العمري[3].

وكانا الزوجين يحيان حياة طيبة هنيئة فالزوج من أبناء بنى إسرائيل، وزوجته أخت زوجة عمران أم مريم عليها السلام وتسمى «حنة».. وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لنبيه زكريا وأصلح له زوجته وأنجبت له ابنه «يحيى» الذى بشر بالنبوة قبل مولده. قال تعالى: ﴿كهيعص (١) ذكر رحمت ربك عبده زكريا (٢) إذ نادى ربه نداء خفيا (٣) قال رب إنى وهن العظم

---

(١) سورة آل عمران (٣٧ - ٤١).

(٢) سورة الأنبياء (٨٩ - ٩٠).

(٣) كتاب الروضة الفيحاء.

منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا ﴿٤﴾ وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا ﴿٥﴾ يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ﴿٦﴾ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ﴿٧﴾ قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ﴿٨﴾ قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ﴿٩﴾ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ﴿١٠﴾ فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴿١١﴾ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا ﴿١٢﴾ وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا ﴿١٣﴾ وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ﴿١٤﴾ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ﴾[1].

وبالفعل أنعم الله على زكريا وزوجته بالولد الصالح الذى لم يذكر اسمه من قبل، وقد سماه الله سبحانه وتعالى.. وعاصر الابن الصالح ابن خالته عيسى بن مريم.. وقد امتحن الابن فى دينه وصبر على البلاء حتى قتل غدراً وظلماً ومات أبيه أيضًا كذلك، قال تعالى: ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا ﴿١٢﴾ وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا ﴿١٣﴾ وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ﴿١٤﴾ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ﴾[2].

ورغم أن الله سبحانه وتعالى أعطى زكريا الولد ولكن لم يجعل له منه الذرية وانتهى عقبه إلى ابنه وانتهت النبوة بعد رفع ابن خالته عيسى بن مريم من بنى إسرائيل حتى وصلت إلى النبى الخاتم ﷺ.

---

(١) سورة مريم (١ - ١٥).

(٢) سورة مريم (١٢ - ١٥).

١٥

زوجات الرسول ﷺ

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها
سودة بنت زمعة رضي الله عنها
عائشة بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنها
حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها
زينب بنت خزيمة رضي الله عنها
أم سلمة رضي الله عنها
زينب بنت جحش رضي الله عنها
جويرية بنت الحارث رضي الله عنها
صفية بنت حيي رضي الله عنها
أم حبيبة بنت أبى سفيان رضي الله عنها
ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

١ - خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

هى أم المؤمنين الأولى.. تزوجها النبى ﷺ بمكة وهى ذات نسب وشرف ومال وجمال، وعمرها أربعون عاماً، وكان عمره وقتها خمسة وعشرين عاماً، وذلك قبل البعثة وانفردت عن باقى زوجاته أنه لم يتزوج عليها فى حياتها، ولم ينجب من غيرها أولاداً سوى جاريته مارية القبطية، فهى ملك يمين وليست زوجة. وعاشت السيدة خديجة مع رسول الله ﷺ معه قبل البعثة وبعد أن بعث بالرسالة الخاتمة وتحملت معه الصعاب وآزرته وأيدته وهى أول من آمن به وأسلم على وجه الإطلاق، تحملت معه عبء الدعوة في بدايتها، وماتت فى حياته بمكة رضي الله عنها.

وكانت قبل زواجها بالنبى ﷺ قد تزوجت مرتين ومات عنها زوجاها.

لقد كانت لها تجارة واسعة فهى من أغنياء مكة وكانت تستأجر تجار مكة للتجارة لها فى رحلتى الشتاء والصيف وكان التجار يسرقونها ولا تستطيع معهم حيلة، حتى سمعت عن أمانة وصدق محمد بن عبدالله ﷺ فأرسلت إليه كى يتجار لها فى رحلة الشام.

لقاء وتعارف وزواج

ذهب الرسول ﷺ بالتجارة إلى الشام فى مال السيدة خديجة رضي الله عنها، ومعه غلامها ميسرة التى كانت ترسلها مع تجارتها كى يخبرها ماذا يحدث من أمر التجارة والتجار، وقد كان من قبل يذكر لها كيف أن التجار يسرقونها، وماذا يفعلون. وذهب ميسرة فى رحلة التجارة مع رسول الله ﷺ ورأى عجباً.. فقد رأى صدق رسول الله ﷺ فى البيع والشراء ورأى سحابة تظلله إذا مشى بمفرده فى حر الشمس، وأراد أن يتأكد من ذلك مشى بجواره. فإذا السحابة قد اختفت، وقرب حدود الشام جلس رسول الله ﷺ بجوار صومعة

راهب تحت شجرة، وأرسل الراهب إلى ميسرة يسأله عن هذا الرجل الذى معه وأخبره ميسرة عنه، فقال له الراهب: أن هذه الشجرة لا يجلس تحتها إلا نبى من عند الله.

وعاد ميسرة ليحكى لسيدته ما حدث فى الرحلة وما رآه من أمر النبى ﷺ.

وأدركت السيدة خديجة بفراستها أن لمحمداً ﷺ شأن عظيم. وقد رأت من قبل رؤيا فسرها لها ابن عمها ورقة بن نوفل أنها ستتزوج بخاتم الأنبياء نبى العرب والعجم.

وأرسلت إليه السيدة نفيسة بنت أمية تعرض عليه الزواج منها، وعرض النبى ﷺ الأمر على عمه أبى طالب الذى رحب بفكرة زواجه من خديجة رضي الله عنها.

وتم الخطبة والزواج بحضور الأهل والأقارب. وفى بيت الزوجية عاشت السيدة خديجة رضي الله عنها وزوجها رسول الله ﷺ حياة ملؤها السعادة والهناء، ولم يكن فى مكة بيتاً يشع نوراً وسعادة مثل بيت رسول الله ﷺ.

ولم تمر السنوات حتى ملئ البيت بالأولاد والبنات، ولكن الذكور من الأولاد لم يعيشوا وماتوا وهم صغار، وتبقى البنات وهن زينت ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن.

وكان الرسول ﷺ قبل البعثة يذهب حيث غار حراء للتعبد والعبادة، فهو لا يعبد الأصنام مثل قومه وإنما كان يعبد الله على دين إبراهيم عليه السلام دين الحنيفية السمحاء دين الإسلام. وكانت زوجته تساعده على عبادته وتجهز له طعامه وشرابه وكانت خلوته وعبادته فى شهر رمضان من كل عام.

وذات يوم من أيام شهر رمضان وهو فى غار حراء وقد بلغ رسول الله ﷺ عامه الأربعين.. يدخل عليه ملك فى هيئة رجل ويجلس إليه ويقول لها اقرأ: فيقول له الرسول ﷺ: ما أنا بقارئ!! ويضمه الملك ويرسله ويقول له:

اقرأ! ويرد الرسول ﷺ: ما أنا بقارئ. ويفعله معه الثالثة والرسول ﷺ يقول له: ما أنا بقارئ.

ويقول له الملك جبريل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

وكانت تلك أول آيات القرآن نزولاً على رسول الله ﷺ فى ليلة القدر فى شهر رمضان فى غار حراء.

ويرجع الرسول ﷺ إلى خديجة رضي الله عنها وهو فزع يرتجف مما رأى وسمع. ويقول لها:

- زملونى.. زملونى

فوضعت عليه الأغطية وذهب عنه الروع الذى ألم به وأخبرها الخبر وقال لها: خشيت على نفسى؟ فقالت له بصوت المؤمنة الواثقة وهى صاحبة الفراسة:

- كلا.. والله ما يخزيك الله أبداً.. إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتصدق الحديث وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فوالله ما يخزيك الله أبدًا.

وذهبت به إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل الذى كان يعبد الله على دين النصرانية ودين إبراهيم، ويقرأ التوراة والإنجيل والكتب القديمة، وأخبرته بما حدث لزوجها، فقال ورقة بن نوقل وهلل واستبشر:

- قدوس.. قدوس.. هذا هو الناموس الذى نزل على موسى.. ليتنى كنت حيًا إذ يخرجك قومك.

قال النبى ﷺ: أو مخرجى هم؟

قال ورقة بن نوفل: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى.. وإن يدركنى يومك أنصرك.

خديجة والدعوة الإسلامية

كانت أول من أسلم وآمن وأعلن طاعته لله ورسوله ﷺ . ووقفت بجواره بعد أن نزل عليه القرآن يأمره بالدعوة إلى الله، وجاهدت معه بمالها ونفسها وتحملت إيذاء قومها، حتى فى حصار قريش لبنى هاشم ثلاث سنوات فى شعب أبى طالب بمكة وظلت معه فى الحصار حتى أجهدت، وخرج المسلمون ومن معهم من الحصار وقد مرضت السيدة خديجة مرضا شديداً وماتت فى مرضها هذا ولقيت ربها راضية مرضية ودفنها رسول الله ﷺ بالحجون بمكة المكرمة.

٢ - سودة بنت زمعة العامرية رضي الله عنها

بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها اشتد الحزن عليها من رسول الله ﷺ ولم يرغب فى الزواج من غيرها فى حياتها وبعد وفاتها. . حتى جاءته إمرأة الصحابى عثمان بن مظعون وهى خولة بنت حكيم بن أمية وكان ذلك فى مكة قبل الهجرة سنة عشرة من البعثة وقال له :

أى رسول الله، ألا تتزوج؟

فقال ﷺ : ومن؟

قالت : إن شئت بكراً. وإن شئت ثيبا [(١)].

قال : فمن البكر؟

قالت : ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبى بكر

قال : ومن الثيب؟

قالت : سودة بنت زمعة بن قيس، قد آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه.

قال : فاذهبى فاذكريهما علَّى «أى اخطبيهما لى».

فذهبت خولة بنت حكيم بيت أبى بكر فوجدت أم رومان زوجة أبى بكر الصديق وأم عائشة رضي الله عنها. فقالت : أى أم رومان، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة : قالت أم رومان : أو ماذاك؟

قالت : أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة.

قالت أم رومان : وودت! انتظرى أبا بكر فإنه آت.

فجاء أبو بكر، فقالت : يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليك من الخير

---

(١) البكر هى التي لم تتزوج. والثيب هى التى سبق لها الزواج.

والبركة، أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة.

قال أبو بكر رضي الله عنه : وهل تصلح له إنما هى ابنة أخيه.

ورجعت السيدة خولة بنت حكيم إلى رسول الله ﷺ فقالت له ذلك، فقال : ارجعى إليه فقولى له : أنت أخى فى الإسلام، وأنا أخوك ابنتك تصلح لى؟

فأتت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال لها:

- انتظرينى حتى أرجع، وذهب إلى المطعم بن عدى وكان ذكرها على ابنه أى خطبها لابنه، وكان أبو بكر لا يريد أن يخلف وعده معهم.. وعندما ذهب إليهم قالت له امرأة المطعم بن عدىّ: لعلنا زوجنا ابننا نحن ابنتك أن تصبيه وتدخله فى دينك الذى أنت عليه. فنظر إلى زوجها المطعم وقال: ماتقول هذه؟ إنها تقول ذلك. أى أن المطعم بن عدى رد خطبة ابنه لعائشة رضي الله عنها خشية أن يدخل ابنه فى دين أبى بكر رضي الله عنه وهنا استراح أبو بكر لذلك.

ودعا أبو بكر رسول الله ﷺ فجاء فأنكحه عائشة رضي الله عنها بعقد العقد دون الدخول حتى تكبر وكانت ابنة ستة سنين أو أكثر.

وذهبت خولة بنت حكيم إلى سودة بنت زمعة.. فقالت لها : أى سودة، ما أدخل الله عليك من الخير والبركة! قالت : وما ذاك؟

قالت : أرسلنى رسول الله ﷺ يخطبك عليه.

قالت سودة : وددت! ادخلى على أبى فاذكرى له ذلك.

وخاطبت خولة أبا سودة وكان شيخاً كبيراً. قالت له : إن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب أرسلنى لأخطب عليه سودة.

فقال : أى سودة، زعمت هذه أن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب أرسل يخطبك، وهو كفء كريم، فتحبين أن أزوجكه : قالت : نعم.

قال : فادعيه لى، فدعته فزوجه.

فدخل رسول الله ﷺ بسودة بنت زمعة بمكة. عائشة يومها بنت ست سنين.

حياة سودة قبيل زواجها بالنبى ﷺ

عاشت سودة حياتها بمكة المكرمة قبل بعثة رسول الله ﷺ، وعندما أمر النبى ﷺ بتبليغ الدعوة للناس كان من أوائل المؤمنين به السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبدودّ القرشى العامرى زوج سودة بنت زمعة وابن عمها.

وهاجر السكران بن عمرو وزوجته سودة بنت زمعة إلى الحبشة ومعه أفراد من عائلة بنى عامر لعمه مالك بن زمعة أخو سودة وسليط وحاطب ولدا عمرو بن عبدشمس أخوة السكران بن عمرو وابن أخيه عبدالله سهيل بن عمرو.

ومع هؤلاء النفر المؤمنين زوجاتهم وكلهن أيضاً من بنى عامر

وعاشت سودة مع زوجها وأهلها فى الحبشة مهاجرة فى سبيل الله صابرة مؤمنة، وعادت سودة إلى مكة بعد أن لبثت مع زوجها فى الحبشة فترة من الزمان وعند بلوغها مكة المكرمة مرض زوجها مرضاً شديداً وتوفى تاركاً سودة أرملة[1].

سودة بنت زمعة فى بيت النبوة

دخلت سودة بنت زمعة رضي الله عنها بيت النبوة قبل الهجرة إلى المدينة مباشرة، ترعى رسول الله ﷺ وأبناءه من خديجة رضي الله عنها، وكانت كبيرة فى السن طيبة القلب، تسعى إلى مرضاة رسول الله ﷺ ومرضاة ربها عز وجل.

هى أول زوجة بعد السيدة خديجة رضي الله عنها وثانى زوجاته ﷺ فى مكة المكرمة.

(١) قيل أن السكران زوج سودة مات قبل الهجرة بالحبشة وقيل أيضا أنه مات بمكة عند عودته إليها..

وهاجرت سودة بنت زمعة رضي الله عنها إلى المدينة المنورة ولحقت برسول الله ﷺ ، وكانت تقوم على خدمة رسول الله ﷺ وأولاده من خديجة حتى جاءت عائشة رضي الله عنها فأعطتها مكانها فى البيت وأيضاً مكانها فى فراش الزوجية، فلقد تزوج رسول الله ﷺ بزوجات أخريات كما سنعرف.

ولأن سودة بنت زمعة كانت كبيرة فى السن فقد قالت لرسول الله ﷺ : أمسكنى، والله مابى على الأزواج من حرص ولكنى أحب أن يبعثنى الله يوم القيامة زوجاً لك.

وقالت له أيضاً : ابقنى يارسول الله وأهب ليلتى لعائشة وإنى لا أريد ما تريد النساء.

قالت عائشة عنها : كانت سودة بنت زمعة قد أسنت(١) وكان رسول الله ﷺ لا يستكثر منها، وقد علمت مكانى من رسول الله ﷺ وأنه يستكثر منى. فخافت أن يفارقها وضنت بمكانها عنده، فقالت :

يارسول الله، يومى الذى يصيبنى لعائشة، فقبله النبى ﷺ ، وفى ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(٢).

وظلت عائشة رضي الله عنها تذكر لها صنيعها وتؤثرها بجميل الوفاء.

وعاشت سودة فى بيت النبوة حتى توفى رسول الله ﷺ ، وعاشت هى حتى ماتت فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين.

(١) كبر سنها.
(٢) سورة النساء (١٢٨).

٣ - عائشة بنت أبى بكر رضي الله عنها

إنها الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما.. أم المؤمنين.. عائشة بنت أبى بكر الصديق بن أبى قحافه بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.

تزوجها النبى ﷺ كما ذكرنا من قبل عند حديثنا عن زواجه من السيدة سودة بنت زمعة فى مكة قبل الهجرة ولم يدخل بها لأنها كانت صغيرة فى السن.. بنت ست أو سبع سنوات، ودخل بها ﷺ فى المدينة المنورة بعد الهجرة إليها وهى بنت تسع سنوات، وأمهرها رسول الله ﷺ متاع بيت قيمته خمسون درهماً.

وحين خطبها رسول الله ﷺ قال له أبو بكر الصديق : يا رسول الله، قد كنت وعدت بها المطعم بن عدى بن نوفل بن عبدمناف لابنه جبير، فدعنى حتى أسلها منهم ففعل.

واشتهر عن قوم أبى بكر بنو تيم بالشجاعة والكرم والأمانة وسداد الرأى.. وحسن معاملة نسائهم.

قال ﷺ لأبيها الصديق رضي الله عنه : **«ما دعوت أحد إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد إلا ماكان من أبى بكر بن قحافة ما حكم –ما انتظر– حين ذكرته له وما تردد فيه»**.

وقال أيضاً عنه : ما نفعنى مال قط ما نفعنا مال أبى بكر» وبكى أبو بكر وقال: يارسول الله هل أنا ومالى إلا بك؟

وأم السيدة عائشة هى أم رومان بنت عامر الكنانية من الصحابيات تزوجت قبل أبى بكر فى الجاهلية عبدالله بن الحارث الأسدى ولدت له الطفيل وأنجبت من أبى بكر عائشة وعبدالرحمن. توفيت فى حياة رسول الله ﷺ وقد أسلمت بمكة وهاجرت إلى المدينة رضي الله عنها.

عائشة قبل الزواج بالنبى ﷺ

ولدت عائشة (رضي الله عنها) بمكة المكرمة بعد أربع أو خمس سنوات من بعثة النبى ﷺ، وأسلمت هى وأختها أسماء وهى ما زالت صغيرة السن.

قالت عن نفسها : لم أعقل أبوىّ قط إلا يدينان الدين «أى مسلمين» أخرجه البخارى.

وعرفها رسول الله ﷺ منذ ولادتها وعندما أراد الزواج رآها فى منامه مرتين.. قالت عائشة (رضي الله عنها): **«إن النبى ﷺ قال لها : رأيتك فى المنام مرتين، أرى أنك فى سرقة -شقة بيضاء- من حرير ويقول: هذه امرأتك. فأكشف عنها، فإذا هى أنت!! فأقول : أن يك هذا من الله يمضيه.»** أخرجه البخارى.

وعاشت عائشة (رضي الله عنها) لحظة الهجرة حين جاء رسول الله ﷺ صاحبه وصهره أبا بكر (رضي الله عنه) وقت الضحى. وقتها قال أبو بكر (رضي الله عنه) : «ماجاء رسول الله ﷺ إلا لأمر حدث».

فلما دخل تأخر له أبو بكر وأجلسه على سريره، وتكلم ﷺ مع أبى بكر دون أن ينظر إلى أسماء وعائشة وقال: أخرج عنى من عندك.

قال الصديق: يارسول الله إنما هى ابنتاى. وما ذاك؟ فداك أبى وأمي.

قال عليه الصلاة والسلام : قد أذن لى فى الخروج والهجرة.

هتف الصديق (رضي الله عنه) : الصحبة يارسول الله الصحبة.

وبكى أبو بكر (رضي الله عنه) من الفرح لصحبته لرسول الله ﷺ فى هجرته إلى المدينة حتى قالت عائشة (رضي الله عنها): ما شعرت قط قبل اليوم أن أحد يبكى من الفرح حتى رأت أبى بكر يبكى من الفرح لصحبته لرسول الله ﷺ.

وبعد هجرة رسول الله ﷺ وصاحبه أبى بكر الصديق إلى المدينة المنورة واستقر هناك بين المهاجرين والأنصار بعث زيد بن حارثة إلى مكة ليصحب

معه بناته ﷺ، وأرسل أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى ابنه عبدالله يطلب إليه أن يأتي ومعه زوجته أم رومان وابنتيه أسماء وعائشة، ومضى الركب المبارك صحبة فى طريق الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة حيث رسول الله ﷺ.

وهناك فى المدينة المنورة كان رسول الله ﷺ قد هيأ بيتا لعائشة ولزوجته سودة بنت زمعة وكذلك حجرات نسائه حول المسجد النبوى، حجرات تسع من الجريد والطين والحجارة، كل أبواب الحجرات تفتح على المسجد.

وبعد وصول عائشة وأمها وأختها وبنات النبى ﷺ إلى المدينة المنورة. تم إتمام الزواج.. وفى حفل متواضع تم زفافها إلى النبى ﷺ.. أدخلتها أمها على رسول الله ﷺ وقالت لها : هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهن وبارك لهن فيك.

وكان بيت عائشة حجرة شيدت حول المسجد من اللبن وسعف النخل، وفراشها من مرتبة كما نسميها حشوها الليف ليس بينه وبين الأرض إلا الحصير.. وعلى فتحة الباب ستار من الشعر.

هكذا بدأت حياتها فى بيت النبوة المتواضع.. حياة حافلة بالأحداث الهامة، رغم صغر سنها، لقد اكتمل نموها فى هذا البيت واكتملت شخصيتها وتدرج إدراكها وتفكيرها، لقد كان يأتيها النبى ﷺ بصواحبها ليلعبن معها وكان يحملها على عاتقه لتطل على ساحة المسجد لترى الصبية وهم يلعبون بالحراب.

وأصبحت فيما بعد سيدة ناضجة تروى الأحاديث فى الفقه وأمور الدنيا المختلفة عن رسول الله ﷺ.. وقد أحاط بها رسول الله بالحب الوفير والرعاية.. فكانت أحب النساء إليه بعد خديجة الزوجة الأولى (رضي الله عنها).

ولقد حظيت عائشة بميزات أهمها أنها الزوجة البكر الوحيدة التي تزوجها النبى ﷺ وأحبها كما أحب خديجة (رضي الله عنها).

عائشة وحادث الإفك

من أخطر المحن وأشهرها حادث الإفك التى وقعت للسيدة عائشة فى السنة السادسة للهجرة.

وقصة الإفك.. أيها الأبناء الإعزاء هو الإفتراء والكذب.. الذى طال السيدة عائشة رضي الله عنها فى شرفها.. حين إتهمها المنافقين ومن شايعهم وتبعهم من المسلمين.

كان ذلك عند عودة جيش المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ من غزوة بنى المصطلق، وكانت عائشة ضمن الجيش مع زوجها رسول الله ﷺ.. وعند عودة الجيش منتصراً وفى الطريق قرب المدينة المنورة.. عسكر الجيش للراحة ليلاً فترة من الوقت ليلاً ثم إنصرفوا حيث المدينة، وهناك بالمدينة عندما وصل بعير -جمل- السيدة عائشة إلى بيتها لم تكن فيه!!

ثم ظهرت بعد قليل على جمل آخر يقوده رجل من الأنصار يسمى صفوان بن المعطل السلمى.

واطمأن الزوج ﷺ والمسلمون عليها ولم ينكر أحد عليها شيئاً لأنها قالت لهم: لقد تخلفت لقضاء بعض حاجتى قبل أن يؤذن فى الناس بالرحيل وفى عنقى عقد لى فيه جزع ظفار، فلما فرغت أسل من عنقى ولا أدري، فلما رجعت إلى الرحل -أي الجمل- ذهبت التمس عنقى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل فرجعت إلى المكان الذى ذهبت إليه التمسة مرة وجدته وجاء القوم وأنا بعيدة فرحلوا بعيرى - أي جملها- وأخذوا الهواج وهم يظنون أننى فيه، فاحتملوا الهواج فشدوه على البعير ولم يشكوا أنى فيه. فرجعت إلى المعسكر وما فيه من داع ولا مجيب قد أنطلق الناس..!!

وبعد أن عادت السيدة عائشة إلى معسكر الجيش وقد أنصرف.. جلست فى مكانها وغطت نفسها بجلبابها.. لأنها تأكدت أنهم سوف يعودون إليها عندما يكتشفون غيابها، وهى كما هى.. جاء الصحابى صفوان السلمى

وكان قد تخلف عن المعسكر أيضا لقضاء بعض حاجته - وعرفها فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون زوجة رسول الله ما خلفك يرحمك الله؟

ولم ترد عليه إنما قرب إليها البعير وقال: اركبى.. وتأخر عنها حتى ركبت وأخذ برأس البعير وانطلق سريعا ليلحق بالناس حتى وصل المدينة فى الصباح عقب الجيش مباشرة.

إلى هنا والأمر طبيعياً عادياً.. لكن أناسا من اليهود والمنافقين على رأسهم زعيم المنافقين عبدالله بن أبىّ بن سلول.. أخذوا ينشروا الشائعات والقصص حول ماحدث وإنه قد حدث ما حدث بين عائشة وصفوان..

وبلغ الحديث رسول الله ﷺ وأبا بكر وأم رومان، ولم يتكلم أحد مع عائشة.. وزاد الأمر إذ أنها مرضت عقب عودتها، فلم يفعل معها رسول الله كما كان عهده بها إذا مرضت أو اشتكت..

ولما رأت عائشة الجفاء فى معاملة رسول الله لها طلبت أن تذهب إلى بيت أمها لتمرضها فوافق. ومر أكثر من عشرين يوماً وعائشة لا تدرى ما يقال حولها ولا فى المدينة من الشائعات حتى أخبرتها سيدة من المسلمين تسمى أم مسطح. وهنا أدركت عائشة سر جفاء رسول الله لها فى الفترة الأخيرة بعد عودتها من غزوة بنى المصطلق.

ولقد عاش رسول الله ﷺ أياما عصيبة حتى أنه قام فى الناس خطيباً: فقد قام فى الناس يخطبهم ولا علم لعائشة بالأمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق؟ والله ما علمت منهن إلا خيراً ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً وما يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى.

وكادت تقع فتنة بين المسلمين حين سمعوا ذلك من نبيهم ﷺ، حتى خرج الأوس والخزرج وهم الأنصار مطالبين برءوس أصحاب الإفك الذين أشاعوا الأكاذيب والإشاعات.

وظلت عـائشة فى بيت أبـيهـا تبكى وأبواها ينظران إليـها فى صـمت وشفقة.

وجلس إليهـا رسول الله ﷺ يقول لها : **«ياعـائشة إنه قـد كان مـاقد بلغك من قول الناس فإن كنت بـرئية فسيبرئك الله وإن كنت قـد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عبادة»**.

وفزعـت عائشة رضي الله عنها ممـا سمعت مـن رسول الله ﷺ ولم تستطع أن تتكلم ونظرت إلى أبويها كى يجيـبا رسول الله.. وصـاحت فـيهـمـا: ألا تجيبان!! فقالا بصوت يشوبه الدموع: والله ما ندرى بم نجيب!!

واتجـهت إلى رسول الله قـائلة : والله لا أتوب إلى الله مم ذكـرت أبداً والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنى بـرئية لاقولن ما لم يكن.. ولئن أنا أنكرت ما يقولون لاتصدقونني. ولكـننى سأقول كما قال أبو يوسف: ﴿**فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون**﴾. ثم حولت وجـهها ورقدت فى فراشها.

ولم يبرح رسول الله ﷺ من مجلسه عندها حتى تغشاه الوحى، وغطى نفسـه بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسـه وأمسك الأبوان أنفاسـهـما ينتظران مـا يقول الوحى من الله لرسـوله ﷺ، ثم اعـتدل رسـول الله ﷺ وجلس يمسح العـرق عن جبـينه ويقول : أبشـرى ياعـائشـة فقـد أنزل الله براءتك. وتنفس أبو بكر فـقد أزيح عنه كـابوس مخـيف، وقامت أم عـائشة إليها فرحة وتشير عليها أن تقوم إلى زوجها رسول الله ﷺ.. فقالت لها فى إباء: «والله لا أقوم إليه فإنى لاأحمد إلا الله عز وجل هو الذى أنزل براءتي.

وخرج النبى ﷺ إلى المسجـد يعلن براءة عائشـة رضي الله عنها بعد أن نزل الله ...ا قـرآنا يتلى إلى يوم القيامة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ** ...**كُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَد... عَظِيمٌ (١١) لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ**

الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(١).

وعاشت بعد ذلك حـتى توفى رسول الله ﷺ فى بيتـها وفى حـجرها ودفن في حجرتها.

وظلت رضي الله عنها بعد وفاة رسول الله ﷺ المرجع الأول فى رواية الأحاديث النبوية فقد حفظت ما يزيد عن الفين ومائة حديث.

وكان أكابر الصحابة يرجعون إليها يسألونها فى مسائل الفرائض.

وقالوا : لو جـمع علم عائشة إلى علم جـميع أزواج النبى ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

وتوفيت رضي الله عنها وعمرها قد بلغ السادسة والستين ودفنت فى البقيع بالمدينة المنورة رضي الله عنها.

---

(١) سورة النور (١١ - ١٩).

٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها

من الحديث عن عائشة بنت الصديق إلى حفصه بنت عمر بن الخطاب.. إنها ابنة الرجل الثاني والوزير الملهم لرسول الله ﷺ، مات زوجها متأثراً بجراحه التى أصابته فى غزوة بدر، إنه الصحابى خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى القرشى.

كان عمرها حين مات عنها زوجها الأول ثمانية عشرة عاماً، وفكر والدها عمر بن الخطاب فى اختيار زوجاً لها..

فى بداية الأمر وقع اختياره على أبى بكر الصديق رضي الله عنه، فهو رغم كبر سنه تميزه السماحة فى الخلق والرقة فى الطبع والحكمة.

وذهب عمر بن الخطاب إلى أبى بكر الصديق يعرض عليه الزواج من حفصة وهو كله يقين من موافقة أبى بكر الصديق على تلك الزيجة، فابنته جميلة شابة تقية تحفظ كتاب الله.

لكن أبى بكر الصديق.. صمت ولم يجب عمر فيما عرض عليه..

وانصرف عمر تاركاً أبا بكر الصديق.. بعد أن رفض عرضه للزواج من ابنته.

وذهب عمر إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه، وكان عثمان قد ماتت زوجته ابنة رسول الله ﷺ السيدة «رقية» بعد مرضها أثناء غزوة بدر، وتحدث عمر مع عثمان عن حفصة وعرض فكرة الزواج منها، لكن جواب عثمان كان غير متوقع لعمر بن الخطاب وطلب منه فرصة أياماً يفكر فيها..

وبعد أياماً من التفكير قال له عثمان : «ما أريد أن أتزوج اليوم».

وغضب عمر بن الخطاب لرفض الصديقين أبى بكر وعثمان للزواج من ابنته الشابة رغم أنها شابة جميلة تقية ذات خلق ودين وشرف ونسب.

وذهب عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه ما فعله أبو بكر وعثمان، وتبسم النبى ﷺ وقال لعمر :

يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة.

سبحان الله العظيم.

يتزوج حفصة خير من عثمان.. ويتزوج عثمان بخير من حفصة.

إنها ليست لغزاً.. فالذى خير من عثمان هو رسول الله ﷺ.. والتى خير من حفصة هى ابنة رسول الله ﷺ.

وفرح عمر فرحاً شديداً لذلك وخرج مسرعاً يزف خبر الخطبة المباركة إلى المدينة كلها.

وقابله أبو بكر رضي الله عنه بعد أن أعلن عمر نبأ خطبة رسوال الله ﷺ لابنته حفصة رضي الله عنها هنئه على ذلك وقال له :

«لا تجد علىّ ياعمر - لاتحزن منى- فإن رسول الله ﷺ ذكر حفصة، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لتزوجتها».

وهنا عرف عمر رضي الله عنه سر رفض أبى بكر الصديق لابنته حين عرضها عليه.. لإن أبا بكر رضي الله عنه علم من رسول الله ﷺ انه يرغب فى الزواج منها وذكر ذلك له ولكنه كان سراً فأراد إلا يكشفه ألا فى حينه.

وهكذا تم زواج رسول الله ﷺ حفصه رضي الله عنها إبنة صديقه وصاحبه عمر ابن الخطاب الذى أعز الله به الإسلام.

حفصة فى بيت النبوة

دخلت العروس الجديدة بيت الزوجية.. بيت النبوة.. مع سودة وعائشة رضي الله عنهن أجمعين.. ولأن بيت النبوة أصبح به الآن ثلاث زوجات..

زوجة كبيرة في السن «سودة» وأخرى صغيرة في السن «عائشة» وثالثة أيضاً صغيرة السن «حفصة» كان عمر بن الخطاب يريد ألا تحدث غيرة بين ابنته وعائشة فقال لها ذات يوم. «أين أنت من عائشة وأين أبوك من أبيها؟!».

وسمع يوماً أن ابنته حفصة تراجع النبي ﷺ حتى يغضب طوال يومه.. فذهب إليها يعاتبها زاجراً لها بعد أن تأكد من صحة ما سمعه: تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله، يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ إياها، والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك ولولا أنا.

وتمر الأيام والسنون وحفصة في بيت النبوة تداري غيرتها من عائشة، فهي مثل أي امرأة تغار على زوجها.. ولكنها لم تتحرج من معارضة زوجها ﷺ حين يبدو أن الأمر لا يعجبها، وتبدي له رأيها، ونرى ذلك فيما يرويه جابر بن عبدالله عن أم مبشر الأنصارية وذكره الإمام مسلم في صحيحه أن أم مبشر الأنصارية أنها سمعت رسول الله ﷺ عند حفصة يذكر أصحابه الذين بايعوه تحت الشجرة في الحديبية عندما ذهبوا لأداء العمرة ومنعتهم قريش فقال: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها» قالت حفصة: بلى يارسول الله.. فانتهرها النبي ﷺ فتلت الآية ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾(1) فقال النبي ﷺ قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(2).

وفي غيرة حفصة وعائشة على النبي ﷺ تحكي كتب الحديث والسيرة أن عائشة وحفصة اتفقتا على السيدة زينب بنت جحش التي تزوجها النبي ﷺ فيما بعد كما سنعرف.. فقد كان يجلس عندها رسول الله ﷺ بعد زواجه منها ويشرب العسل الذي يحبه، واتفقتا حفصة وعائشة أن تقول كل منهن لرسول الله ﷺ حين يدخل على إحداهن وهو قادم من عند زينب بنت

---

(1) سورة مريم (71).

(2) سورة مريم (72).

جحش زوجته وقد سقته العسل تقول الواحدة له: إني أجد ريح مغافير -أي رائحة كريهة- حتى حرم رسول الله ﷺ شرب العسل على نفسه، ونزلت آيات سورة التحريم تعاتب النبي ﷺ في ذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٢ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾(1).

وعندما اتفق نساء النبي ﷺ عليه يردن منه زيادة النعمة والتوسعة في المعيشة، وتظاهرا عليه.. وحلف رسول الله ﷺ أن يهجرهن جميعاً شهراً واعتزلهن.. وشاع في المدينة أن رسول الله ﷺ طلق زوجاته.. فقال عمر ﵁: خابت حفصة خسرت قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون.

وذهب عمر ﵁ إلى النبي ﷺ وسأله هل طلق نساءه فأخبره ﷺ بأنه لم يطلقهن وأنه هجرهن شهراً.

ودخل عمر على ابنته حفصة فإذا هي تبكي وسألها ما يبكيك؟ ألم أكن حذرتك هذا؟!

وقد قيل في كتب السيرة أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها رحمة بعمر رضي الله عنه وامتثالا لأمر الله حين نزل جبريل عليه السلام بقوله له: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة بعمر. وفي رواية أخرى أن جبريل قال: ارجع حفصة فإنها صوامه قوامة(2). وإنها زوجتك في الجنة. رواه الطبراني.

---

(1) سورة التحريم (1-5).

(2) أي كثيرة الصلاة غير المفروضة وكثيرة الصيام غير رمضان الفريضة.

حياتها بعد وفاة الرسول ﷺ

عاشت حفصة رضي الله عنها فى بيت النبوة حتى بعد وفاة الرسول ﷺ عاكفة على العبادة صوامة قوامة، وحين جمع أبو بكر الصديق القراءات فى صحف أوصى أن يكون هذا المصحف عند حفصة بعد موته رضي الله عنه، وظل عندها فى خلافة أبيها عمر رضي الله عنه، وفى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه نسخت من المصحف نسخ وزعت على الأنصار كان المصحف الذى جمعه أبو بكر رضي الله عنه عندها أعطته لعثمان رضي الله عنه لنسخ ما يريد أن ينسخها لتوزيعه على البلاد الإسلامية وقتها.

وعاشت بالمدينة حتى توفيت فى عهد معاوية بن أبى سفيان سنة ٤٥ ودفنت بالبقيع بالمدينة المنورة مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين.

٥ - زينب بنت خزيمة رضي الله عنها

أم المساكين زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبدالله بن عمرو بن عبدمناف الهلالية.

كانت زوجة عبدالله بن جحش الذى استشهد فى غزوة أحد وتزوجها النبى ﷺ عقب زواجه بحفصة بنت عمر بوقت قصير.

وقد قيل أنها كانت زوجة الطفيل بن الحارث أو غيره ذكر ذلك صاحب السيرة النبوية.. ولكن الذى نرجحه ما قاله ابن حجر كتاب الإصابة أنها زوجة الشهيد عبدالله بن جحش.

ولعلنا نجد فى سيرة هذه السيدة الفاضلة القليل من الأخبار لأنها لم تعش فى بيت النبوة بعد زواجها من رسول الله ﷺ سوى شهور قليلة لا تزيد عن ثمانية شهور ثم ماتت وقيل أن رسول الله ﷺ تزوجها بدافع الشفقة.

ورغم اختلاف المؤرخين أبنائى الأعزاء حول السيدة زينب بنت خزيمة فيمن تزوجها قبل النبى ﷺ وهذا لا يهمنا كثيراً.. فإن المؤرخين وكتاب السيرة النبوية أجمعوا على أنها كانت ذات قلب طيب وكريمة العطاء وكثيرة العطف على الفقراء، ولقبوها بأم المساكين لذلك.

وقالوا : كان يقال لها أم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم.

وماتت على الأرجح وعمرها ثلاثون عاما بعد زواجها بالنبى ﷺ بأشهر قليلة لا تتجاوز ثمانية أشهر تقريباً، وقد نالت شرف زواجها بالنبى ﷺ فى الدنيا والآخرة، وخظيت بلقب أم المؤمنين.. صلى عليها النبى ﷺ وكانت أول أمهات المؤمنين اللائي دفن فى البقيع بالمدينة المنورة رضي الله عنها وعنهن أجمعين.

٦ - أم سلمة هند بنت أمية رضي الله عنها

أيها الأبناء الأعزاء.. نعيش سويا حياة سيرة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ذات النسب العريق فى قومها. من المؤمنين الأوائل هى وزوجها الأول أبو سلمة عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، الصحابى الجليل الذى هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة.

أبوها أحد رجال قريش الجوادين المشهورين بالعطاء أبى أمية بن المغيره ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشى. لقب بلقب «زاد الركب» لأنه كان لا يسافر ومعه أحد إلا كفاه من زاده.

وزوج أم سلمة الأول كان ابن عمة رسول الله ﷺ شهد غزوة بدر وأحد ومات متأثراً بجراح إصابته فى عزوة أحد.

ونعود أبنائى الأعزاء إلى قصة هجرة أم سلمة وزوجها أبو سلمة من مكة إلى المدينة، لأن ما حدث لهما مأساة، وتروى كتب السيرة أنها خرجت مع زوجها إلى المدينة المنورة ومعهما ابنهما سلمة، وشاهدها أهلها فتقدموا إليها وهى راكبة بعيرها -الجمل- وقادوا بعيرها إلى مكة مرة أخرى وغضب أهل زوجها وأخذوا ابنها سلمة منها وتنازعوا فيما بينهما هذا يريد أن يأخذ الطفل وهذا يريد أخذه حتى خلعوا يده وانطلق به أهل أبيه.. وأخذوها بنو المغيرة أهلها عندهم.. ومضى زوجها أبو سلمة فى طريق الهجرة إلى المدينة مهاجراً فى سبيل الله وظلت هى بعيدة عن ولدها وزوجها ما يقرب من العام تبكى. حتى رق لها ابن عمها وطلب من أهلها أن يتركوها تلحق بزوجها ورد أهل زوجها ابنها سلمة إليها وخرجت بمفردها فى طريق الهجرة إلى المدينة المنورة، حتى كانت بالقرب من الحدود فى منطقة تسمى التنعيم قرب مكة حتى لقيت الصحابى عثمان بن صلحة ولم يكن وقتها قد أسلم، فامسك بعيرها وأصطحبها حتى أوصلها إلى المدينة المنورة سالمة قرب قباء على مشارف المدينة.

وظلت فى المدينة بجوار زوجها وابنها حتى استشهد زوجها عقب غزوة أحد.

وتروى كتب الأحاديث الصحيحة عن أم سلمة أن أبا سلمة رضي الله عنه حدثها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول **«ما من عبد يصاب بمصيبة فيفرع إلى ما أمره الله به من قول «إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرنى فى مصيبتى وعوضنى خيراً منها إلا أجره الله فى مصيبته وكان ضمينا أن يعوضه خيراً منها»**.. فلما هلك أبو سلمة ذكرت الذى حدثنى به عنه رسول الله فكنت أقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى وعوضنى خيراً منها» ثم قلت: إنى أعاض خيراً من أبى سلمة؟ وأنا أرجو أن يكون الله قد أجرنى فى مصيبتى».

وذكر ابن سعد فى كتابه الطبقات أن أبا سلمة دعا لها قبل موته قائلا «اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلاً خيراً منى لا يحزنها ولا يؤذيها».

وبعد وفاة زوجها تقدم إلى الزواج منها أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ورفضت برفق.

وتقدم إليها النبى ﷺ خاطباً إلا أنها تمنت ذلك ولكنها رأت نفسها قد جاوزت سن الشباب وأصبحت كبيرة السن ومعها عيال ومع النبى ﷺ زوجتيه عائشة وحفصة وسودة فأرسلت إلى النبى ﷺ تقول: إنها تغير.. وكبيرة فى السن وذات عيال. فقال عليه الصلاة والسلام لها: **«أما أنك مسنة فأنا أكبر منك وأما الغيرة فيذهبها الله عنك أما العيال فإلى الله ورسوله»**.

ووافقت أم سلمة وتم الزواج فى السنة الرابعة من الهجرة فى شهر شوال على الصحيح من الأقوال.

وسكنت أم سلمة مكان السيدة زينب بنت خزيمة التى توفيت قبل زواج النبى ﷺ بها.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه.

أم سلمة فى بيت النبوة

وعاشت أم سلمة فى بيت النبوة تقوم بواجبات الزوجية، وترعى أطفالها من زوجها أبو سلمة وتسأل رسول الله ﷺ : يارسول الله هل من أجر فى بنى أبى سلمة أن أنفق عليهم؟ ولست بتاركتهم هكذا وهكذا.. إنما هم بنى. قال : **«نعم لك أجر ما أنفقت عليهم»**.

وعندما راجع عمر بن الخطاب ابنته حفصة زوجة النبى ﷺ وقال لها : يابنية إنك تراجعين رسول الله حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة : والله إنا لنراجعه.. فقلت أى عمر : تعلمين أنى أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ يابنية، لا يغرنك هذه التى أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ -يقصد عائشة- ثم قال : ثم خرجت ودخلت على أم سلمة لقرابتى منها، فكلمتها فقالت له أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب، قد دخلت فى كل شيئ حتى تبتغى أن تدخل بين رسول الله وأزواجه؟ قال عمر «فأخذتنى» والله أخذاً كسرتنى به عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها.

وكانت ﵂ ذات مكان عند رسول الله ﷺ ونلحظ ذلك فيما رواه أهل السيرة من أن النبى ﷺ كان فى بيتها وعندها ابنتها زينب وجاءت السيدة فاطمة الزهراء وولديها الحسن والحسين ﵄ فضمهما إليه وتلا قوله تعالى ﴿**رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد**﴾ فبكت أم سلمة فنظر إليها رسول الله ﷺ وسألها فى حنو : ما يبكيك؟ قالت: يارسول الله. خصصتهم وتركتنى وإبنتى. قال : إنك وابنتك من أهل البيت.

وتربى أولاد أم سلمة من زوجها السابق أبى سلمة فى رعاية وكفالة النبى ﷺ. فأصبحوا من ربائب النبى ﷺ ومن أهل البيت رضوان الله عليهم.

وفى العام السادس من الهجرة خرج رسول الله ﷺ ومعه الصحابة إلى مكة لأداء العمرة ولكن قريش صدت الرسول وصحبه عن اداء العمرة عند

الحديبية ثم جاءت الوسطاء لحل الخلاف وانتهى الأمر بصلح الحديبية؟ واتفقوا أن تكون العمرة فى العام المقبل. وشق ذلك على الصحابة وعلى رأسهم عمر ابن الخطاب، وقال لهم رسول الله ﷺ **«قوموا فانحروا ثم احلقوا»** كى يتحللوا من نسك العمرة ويعودوا إلى المدينة المنورة حسب الاتفاقية والصلح الذى عقد مع قريش إلا أن المسلمين لم يفعلوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ فدخل رسول الله ﷺ بيته يسلم على أم سلمة وكانت فى صحبته. وذكر لها ما حدث من المسلمين.. فأشارت عليه أن يخرج إليهم ثم يدعو الحلاق فيحلق ويأتى بالهدى -الشاه- فيذبحه.

فخرج إليهم وفعل ما أشارت عليه أم سلمة فقام المسلمون وفعلوا ما فعل رسول الله ﷺ وانتهت الأزمة.

وقد وصف المؤرخون أم سلمة أنها ذات جمال بارع وعقل راشيد ورأى صائب. وكان أبلغ دليل على رجاحة عقلها وصواب مشورتها ماحدث يوم الحديبية حيث رجع المسلمون إلى عقولهم بعد أن غلبتهم العواطف الجياشة نحو زيارة بيت الله الحرام وأداء العمرة التى جاءوا من أجلها ومنعتهم قريش من أداءها.

وصحبت أم سلمة رسول الله ﷺ فى غزوات كثيرة مثل فتح مكة وفتح خيبر وغزوة هوزان وثقيف وحصار الطائف ثم حجت معه حجة الوداع عام عشرة من الهجرة وعاشت بعد وفاة النبى ﷺ حتى ماتت بعد واقعة كربلاء التى استشهد فيها الحسين بن على ﵄، وصل عليها الصحابى الجليل أبو هريرة ﵁ ودفنت بالبقيع وكانت آخر أمهات المؤمنين موتاً ﵅ أجمعين.

٧ - زينب بنت جحش رضي الله عنها

لقد اختلف زواج النبى ﷺ من السيدة زينب بنت جحش عن جميع زيجاته السابقة واللاحقة من أمهات المؤمنين بخاصية فريدة من نوعها، فكل الزيجات السابقة والتى ستأتى بعد كان الذى يتولى أمر العقد فى الزواج رسول الله بصفته الزوج وأحد أقارب العروس وكيلاً عنها فى العقد، أما السيدة زينب بنت جحش فإن الذى أمر بزواجها من رسول الله ﷺ مباشرة هو الله سبحانه وتعالى وأنزل فى ذلك قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿فلما قضى زيدٌ منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا﴾[(١)].

وجاء زواج النبى ﷺ من السيدة زينب بنت جحش ليبطل عادة التبنى التى كانت سائدة فى الجاهلية. وتعود إلى الوراء قليلاً قبل بعثة النبى ﷺ فى الجاهلية.. حيث خرجت أم زيد بن حارثة لزيارة أهلها بنى معن بن طيء.. وخطف بعض الرجال ابنها زيد منها وباعوه كعبد فى السوق واشتراه رجل من قريش يدعى حكيم بن حزام بن خويلد الأسدى.. وزيد ليس عبداً وإنما حر ولكن سقط فى أيدى الخطافين الذين يتاجرون قديماً فى العبيد. واسمه زيد بن حارثة بن سراحيل بن كعب الكلبى وكان الذى اشتراه حكيم بن حزام بن خويلد ابن أخو السيدة خديجة زوجة النبى ﷺ وقتها واشترت منه الغلام «زيد» وأعطته هى بدورها إلى زوجها محمد ﷺ على سبيل الهبة فأصبح ملكاً له.

وبعد فترة مكث فيها زيداً مع رسول الله ﷺ ورأى حسن صحبته وأنه يعامله معاملة الأحرار وليس العبيد، يعامله مثل ابنه تماماً.. وفى نفس الوقت كان أبو زيد بن حارثة يبحث عن ولده ورآه بعض أقاربه فى مكة.. وأخبروا

---

(١) سورة الأحزاب (٣٧).

والده «حارثة» الذى جاء مع إخوانه إلى مكة حيث يعيش محمد ﷺ وقال له: يا ابن عبدالمطلب يا ابن سيد قومه، أنتم جيران الله تفكون العانى وتطعمون الجائع وقد خيرتك فى ابننا تحسن إلينا فى فدائه.

قال ﷺ : أو غير ذلك؟

قال : ماهو؟

قال : ادعوه وأخبره فإن اختاركما فذاك، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى أحد.

قال حارثة : قد زدت على النصف.

ودعى زيد مفرق أباه وعمه وخيره النبى ﷺ إن شاء ذهب معهما وإذا أحب قام معه.

فاختار زيد بن حارثة البقاء مع النبى ﷺ وقال لأبيه وعمه: إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئاً وما أنا بالذى أفارقه أبداً.

وعند ذلك أخذ محمد بيده وقام إلى الملاء من قريش وأشهدهم أن زيداً ابنه وارثاً وموروثاً. وكانت تلك العادة وهي التبنى فى الجاهلية وصدر الإسلام أمرًا طبيعياً.. وأصبح اسم زيد بن حارثة «زيد بن محمد».

وكان زيد من السابقين الذين دخلوا الإسلام كان رابع من أسلم. ولما بلغ سن الزواج اختار له النبى ﷺ بنت عمته أميمة بنت عبدالمطلب : زينب بنت جحش. ولم ترض زينب بنت جحش بزيد زوجاً لها وكذلك أخوها عبدالله بن جحش لأن زيداً كان مولى رسول الله ﷺ رغم أن أصله عربى ونزل قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا﴾[(١)].

أمام أمر الله ورسوله تزوجت زينب بنت جحش زيد بن محمد بالتبنى.

---

(١) سورة الأحزاب (٣٦).

فكان زواجها بأمر النبى ﷺ وطاعة لأمر الله أيضًا فطاعة الرسول من طاعة الله سبحانه وتعالى وفى حياتها الزوجية مع زيد لم تنس زينب بنت جحش أنها تزوجت من عبد.. . وكانت تعامله معاملة قاسية اشتكى منها زيد لرسول الله ﷺ كثيراً، إلا أنه كان يقول له : اتق الله وأمسك عليك زوجك . فإن زيداً يريد أن يطلقها ولكن رسول الله ﷺ يطلب منه إبقاءها.

ولكن الله سبحانه وتعالى يريد أمر آخر غير الذى يريده رسول الله ﷺ يريد أن يبطل عادة التبنى وأن يعلم المسلمون أن زيدًا ليس ابنًا لمحمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك كان الأمر الإلهى بطلاق زيد من زينب بنت جحش ثم زواج النبى ﷺ منها فيكون هو القدوة فى إبطال عادة التبنى ونزل فى ذلك الآيات التى ذكرناها من سورة الأحزاب.

زينب بنت جحش فى بيت النبوة

دخلت السيدة زينب بنت جحش بيت النبوة بأمر الله سبحانه وتعالى وكان ذلك بعد زواجه ﷺ من السيدة أم سلمة ومن يوم دخولها بيت النبوة حتى فرض الله الحجاب على نساء النبى ﷺ، كان ذلك فى السنة الخامسة من الهجرة. وهي تبلغ من العمر خمسًا وثلاثين عاماً. وكان اسمها «برة» فسماها ﷺ «زينب» كما ذكر ذلك البخارى ومسلم من حديث زينب بنت أبى سلمه ربيبة النبى ﷺ قالت: «كان إسمى برَّة فسمانى رسول الله ﷺ زينب. ودخلت عليه زينب بنت جحش واسمها برَّة فسماها زينب».

وغارت نساء النبى ﷺ من زينب بنت جحش فهى ذات جمال وشرف وقربى من رسول الله ﷺ وأيضاً أن الذى زوجها هو الله سبحانه وتعالى.

وكانت زينب بنت جحش تفخر بذلك وتقول لهن: «زوجكن أهاليكن وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سماوات»(١).

(١) صحيح البخارى.

وقالت عنها عائشة ﵂: «لم تكن واحدة من نساء النبى تضاهينى غير زينب»(١).

واتفقت السيدة عائشة وحفصة وأم سلمة عليها لأن النبى ﷺ كان يجلس عندها ويطيل الجلوس أو كانت تقدم له شراب العسل الذى يحبه فاتفقن الثلاثة على أن يقلن للنبى ﷺ إذا دخل على إحداهن وهو قادم من عند زينب بنت جحش: «إنى أجد ريح مغافير أى رائحة كريهة». حتى حرم النبى ﷺ أكل العسل عندها ونزل قوله تعالى فى سورة التحريم عتاب النبى على تحريم ما أحل الله له مرضاة لزوجاته وقد ذكرنا القصة قبل ذلك.

وكانت ﵂ صالحة تقية ورعه دافعت عن عائشة ﵂ فى محنتها فى حادثة الإفك التى ذكرناها من قبل.

وقالت عنها السيدة عائشة : لم أر امرأة خيراً فى الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة، وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تتصدق به وتتقرب به إلى الله.

وقال عنها ﷺ لعمر بن الخطاب : «إن زينب بنت جحش أواهة».

قال رجل : يارسول الله : ما الأواه.

قال : الخاشع المتضرع ثم تلا قوله تعالى ﴿إنَّ إبراهيم لحليمٌ أواهٌ منيبٌ﴾(٢).

قالت عنها أم سلمة : «كانت زينب لرسول الله ﷺ معجبة وكان يستكثر منها، وكانت صالحة قوامة صوامة صناعاً وتتصدق بذلك كله على المساكين».

وعاشت حياتها بعد وفاة النبى ﷺ عابدة لله سبحانه وتعالى وكانت أول نسائه لحوقا به فقد قال ﷺ لنساءه: «أسرعكن لحاقاً بى أطولكن يداً» أى

(١) السيرة النبوية لابن هشام.
(٢) سورة هود (٧٥).

أكثركن صدقة على الفقراء والمساكين فكانت رضي الله عنها كثيرة الصدقة حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أرسل إليها عطاءها وكان اثنى عشر ألفًا فجعلت تقول: «اللهم لا يدركنى هذا المال فى قابل، فإنه فتنة» ثم قسمته ووزعته فى أهلها وأهل الحاجة الفقراء.

فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فوقف ببابها وأرسل إليها السلام وقال:

بلغنى ما فرقت فأرسل ألف درهم تستبقيها، وأرسل الألف فتصدقت بها جميعاً لم تبق منها درهماً.

وحضرتها الوفاة سنة عشرين من الهجرة فقالت لمن حولها:

إنى قد أعددت كفنى وإن عمر أمير المؤمنين سيبعث إلىّ بكفنى فتصدقوا بأحدهما، وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوى فافعلوا».

وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ودفنت بالبقيع بالمدينة المنورة.

فكانت أول نساء النبى ﷺ موتاً بعده ﷺ ورضي الله عنهن أجمعين.

٨ - جويريه بنت الحارث الخزاعية رضي الله عنها

قالوا عنها: إنها أعظم امرأة بركة على قومها أعتق بزواجها رسول الله ﷺ مائة من أهل بنى المصطلق. إنها جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه من بنى المصطلق.

وكيف حدث ذلك؟!!

فى العام السادس من الهجرة وبعد غزوة الأحزاب وغزوة بنى قريظة وغزوة بنى لحيان وغزوة ذقرد. علم رسول الله ﷺ أن حى من خزاعة هم بنى المصطلق يستعدون لقتاله بقيادة زعيمهم الحارث بن أبى ضرار بن حبيب المصطلقى الخزاعى.. وخرج إليهم رسول الله ﷺ ومعه الجيش الإسلامى وقاتلهم وانتصر عليهم عند منطقة تسمى المريسيع.

وتم أخذ نساء بنى المصطلق سبايا كما يحدث فى الحروب ومن بينهم بنت قائدهم وزعيمهم جويرية وكان اسمها وقتها «برّة».

وعند توزيع الغنائم والسبايا وقعت جويرية من نصيب الصحابى ثابت ابن قيس بن شماس الأنصارى وكاتبها على نفسها، أى أنها اتفقت معه على مبلغ من المال كى تفدى نفسها من الأسر والعبودية.

وذهبت جويرية إلى رسول الله ﷺ تسأله أن يعينها على فك أسرها..

وتحكى السيدة عائشة ما حدث..

بينما النبى ﷺ جالس فى حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها سمعت امرأة تستأذن فى لقائه ﷺ وقامت إليها عائشة فرأت شابة حلوة مفرطة فى الملاحة نحو العشرين من عمرها لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ترتجف قلقاً وذعراً تريد مقابلة النبى ﷺ ودخلت الشابة المليحة جويرية فى ضراعة وعزة نفس تقول: يارسول الله أنا بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه وقد أصابنى من

البلاء ما لم يخف عليك نفسى، فجئتك أستعينك على أمرى؟

ورق قلب النبى ﷺ لها، وأراد لها الخير كل الخير لها ولأهلها فقال لها: فهل لك في خير من ذلك.

سألت : وما هو يارسول الله؟

قال ﷺ : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك.

ووافقت وهى لا تكاد تصدق هذا العرض العظيم لها.

وقد قيل أيضـا أن أباها الحارث جاء إلى النبى ﷺ ومعه فداء ابنته من الأسر وقـد أخفى الفـداء فى أحد شـعاب مكة، وعـرض على النبى ﷺ أن يفديها ويخلى سبيلها فقال له ﷺ : أرأيت إن خيرتهـا أليس قد أحسنت. قال: بلى. فـأنا أبوها. فذكر ذلك لهـا فقالت له: اختـرت الله ورسوله. . . وسأل رسول الله ﷺ أباها عن الفداء الذى أخفاه فى أحـد شعاب مكة فعلم أنه علم ذلك من الله فأسلم. وزوجه ابنته وكان مهرها أربعمائة درهم.

جويريه فى بيت النبوة

كان لزواج جـويرية من رسول الله ﷺ الأثر البـالغ عند أهلها، فـقد أطلق المسلمون الأسرى من أهلها بنى المصطلق تكريماً لها ولزواجها من رسول الله ﷺ فكانت بركة على أهلها.

وكانت قبل زواجها زوجة لابن عمـها مانع بن صفوان المصطلقى وقتل يوم غزوة بنى المصطلق.

وعاشت فى بـيت النبوة حتـى توفى رسول الله ﷺ وتوفيت فى عـهد معاوية بن أبى سفيان بالمدينة وهى تبلغ من العمر خمساً وستين أو سبعين سنة وصلى عليها مـروان بن الحكم أمير المدينة ودفنت بالبقـيع مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين.

٩ - صفية بنت حيى رضي الله عنها

فى العام السابع الهجـرى بعد حرب بنى المصطلق وزواج النبى ﷺ من ابنة سيد بنى المصطلق جورية رضي الله عنها، خرج ﷺ والجيش الإسلامى لمواجهة يهود خيبر فى أول العام السابع منتصف شهر المحرم.

وعندما شـارف الجيش حصن بنى خيبر قال ﷺ : الله أكبر.. خربت خيبر. إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

وتم حصار حـصون خيبر. . وفـتحها الله على المسلمين حـصناً حصناً وقتل رجالهـا وسبى نسائها ومن الأسـرى كانت صفية بنت حيى بن أخطب التى ينتهى نسـبها إلـى هارون أخو موسى عليـهما السـلام وأخذ بلال رضي الله عنه الأسيرتين صفية وابنة عمها ومر بهمـا على القتلى من قومهما فجذعت صفية لما رأته وصرخت ابنة عمـها وصاحت وأخذت تحثو على رأسـها التراب. وظلت تصرخ وتبكى وجىء بهما إلى النبى ﷺ فقال :

أغربوا عنى هذه الشيطانة.

ثم نظر إلى صفية نظرة رحيمة معاتباً بلالاً. أنزعت يابلال منك الرحمة حين تمر بامرأتين على قـتلى رجالهمـا. ثم أمر بصفـية فجـعلت خلفه وألقى عليهـا رداءه وهذا إعلاماً منه بأنه اصطفاها لنـفسه. ثم أعتـقها ﷺ وعرض عليها الزواج فوافقت وكان صداقها عتقها. ثم دفعها إلى أم سليمة كى تهيئها وتعدها إلى الزواج.

صفية فى بيت النبوة

وأقيـمت ليلة العرس بوليـمة جـاء الرجال بما عندهم من طعـام جعلوا يقدمونه وليمة العرس.

ورغم صغر سنهـا وقتها حيث جاوزت السابعة عشـرة ولكنها تزوجت مرتين قبل رسول الله ﷺ وقتل زوجها فى غزوة خيبر والتى أسرت فيها.

وفى ليـة العـرس خاف المسلمون على رسـولهم وقائدهم ﷺ من غدر اليهود وأن تقتل صفية رسول الله ﷺ كما حولت امرأة يهودية هى زينت بنت الحارث امرأة سـلام بن مشكم أحد زعماء اليـهود التى أهدت النبى ﷺ شاة مسـمومـه وضعت السم فى الزراع الأيمـن الذى يحبـه رسول الله ﷺ ولكن الشاة نطقت وأخبرت رسول الله ﷺ أنها مـسمومة. وأتى بالمرأة واعـترفت بذلك وقالت له : إن كنت نبياً فستخبر وإن كنت ملكاً استرحت منك.

لذلك وقف أبو أيوب خالد بن زيد يقـظان على خيمة العـرس التى بها رسول الله ﷺ وعلم ﷺ بذلك ودعا له على ما فعل من خوفه عليه والسهر عليه.

وعاد جيش الإسـلام إلى المدينة منتصراً ومـعه رسول الله ﷺ وزوجته الجديدة من يهود خيبر وقد أسلمت.

وحين دخل على عـائشة ﵂ بزوجتـه الجديدة قـال لها ﷺ : «كيف رأيت ياشقراء».

قالت : وهى تهز كتفها : رأيت يهودية بين يهوديات.

ورد عليها ﷺ : لا تقول ذلك فإنها أسلمت وحسن إسلامها.

ولم تعلق عائشة بكلمة وانصرفت.

وانـتقلت صفـية ﵂ إلى بيت النبـوة وكانت نسـاء النبى ﷺ عائـشة وحفصة ﵄ يفخرن بأنهن قرشيات عربيات، فأخبرت صفية ﵂ ما سمعت منهن وهى تبكى فقال لها ﷺ :

ألا قلت : وكيف تكونان خيراً منى وزوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى. فكان كلامـه هذا بلسماً شافياً لها، وكان ﷺ يدافع عنها عند نسائه ودوماً. ولم تحرم صفية من حمايته ﷺ حتى آخر أيامه.

وفى مرض موته قالت له صـفية : إنى والله يانبى الله لوددت أن الذى بك بى. فما كان من أزواجه إلا أن غمزن ببصرهن.

فقال لهن ﷺ : مضمضن!!

وتساءلن فى دهشه! من أى شىء؟

قال : من تغامزكن بها. . والله إنها لصادقة.

وعاشت صفية بعد وفاة رسول الله ﷺ فى المدينة حتى لحقت بربها فى عهد معاوية بن أبى سفيان ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين ﵅ جميعاً.

١٠ - أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان رضي الله عنها

أبوها زعيم الكفار بمكة قبل الفتح، أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية، أسلمت هى وزوجها الأول عبدالله بن جحش الأسدى ابن عمة رسول الله ﷺ وهو أخو زينب بنت جحش زوجة النبى ﷺ.

هاجرت إلى الحبشة مع زوجها وعاشت هناك فى أمان وأنجبت هناك ابنها «حبيبة» ولكن حدث لها ما أفزعها وأصابها بالحزن والأسى!! لقد ارتد زوجها عن الإسلام ودخل فى النصرانية دين أهل الحبشة وحاول أن يردها عن دينها، ولكنها صبرت وصمدت وتركت زوجها.. وأغلقت على نفسها بابها.. ولا تستطيع العودة إلى وطنها وما زال أهل الشرك يسيطرون عليها ويحاربون الإسلام.

ومرت فترة وهى فى محنتها وعزلتها حتى جاء الخبر من النجاشى ملك الحبشة أن النبى ﷺ وسلم يخطبها ويريد الزواج بها.

وفرحت لذلك.. وتم عقد الزواج هناك فى الغربة وكان النجاشى ملك الحبشة وكيل رسول الله ﷺ واختارت أم حبيبة خالد بن سعيد بن العاص بن أمية كبير المهاجرين من قومها بنى أمية وكيلاً لها فى عقد الزواج.

وتم الزواج على صداق قدره أربعمائة دينار وبقيت أم حبيبة هناك فى الحبشة إلى أن استقر الأمر لرسول الله ﷺ بالمدينة وانتصر فى غزوة الأحزاب وانتصر فى غزوة خيبر وعند عودته من غزوته خيبر وقد تزوج رسول الله ﷺ من صفية بنت حيى إلا وقد عاد المهاجرون من الحبشة وكانوا ستة عشر رجلاً وفيهم السيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان زوجة النبى ﷺ التى لم يدخل بها. بعد أن عقد عليها منذ بضع سنين وهى فى الحبشة.

أم حبيبة بنت أبى سفيان فى بيت النبوة

إسمها «رملة» وكنيت «بأم حبيبة» على اسم ابنتها التى وضعتها فى الحبشة من زوجها المرتد الأول.

واحتفل المسلمون بقدوم أم حبيبة إلى المدينة ويزفافها إلى النبى ﷺ وعاشت فى بيت النبوة سعيدة بعد أن لاقت آلام الغربة من أجل الدين.

وعندما نقضت قريش صلح الحديبية وأراد النبى ﷺ فتح مكة المكرمة وخرج أبو سفيان من مكة يريد المدينة وتسلل إلى بيت ابنته أم حبيبة كى تتوسط لديه عند محمد ﷺ، وفوجئت به يدخل بيتها وهو على الكفر، وأراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ، فأخذت الفراش من تحته وطوته فقال لها: أطويته يابنية رغبة بى عن الفراش أم رغبة بالفراش عنى.

قالت: هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك فلم أحب أن تجلس عليه.

فقال لها: لقد أصابك يابنية بعدى شر.

وذهب أبو سفيان إلى النبى ﷺ يكلمه فى العهد الذى بينهما من صلح الحديبية فلم يجبه بشىء.

ثم ذهب إلى عمر بن الخطاب فرد عليه فى غلظة وجفاء وكذلك على ابن أبى طالب.

فقال: ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

وعاد أبو سفيان إلى مكة دون الحصول على وعد بالهدنة وعلى الصلح الذى نقضته قريش.

وجهز رسول الله ﷺ الجيش متجهاً إلى مكة فاتحاً، وقد تم له ذلك دون قتال. وأسلم أبو سفيان يوم الفتح.

وعاشت أم حبيبة بنت أبى سفيان سيدة تقية عابدة لله بعد وفاة النبى ﷺ . وتوفت بالمدينة المنورة عام اربعة وأربعين من الهجرة ودفنت بالبقيع مع زوجات النبى ﷺ رضي الله عنهن أجمعين.

١١ - ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها

إنها ميمونة بنت الحارث الهلالية أخت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين التى ماتت فى حياة النبى ﷺ خامس أمهات المؤمنين رضي الله عنهن من أمها.

كانت تسمى «برة» وسماها النبى ﷺ «ميمونة» إنها سيدة من أكرم سيدات مكة المكرمة، ظلت مقيمة بمكة حتى دخلها النبى ﷺ والمسلمون لأداء عمرة القضاء بعد صلح الحديبية عام سبعة من الهجرة وتزوجها بعد قضاء العمرة بمكة ثم دخل بها فى «سرف» قرب التنعيم على حدود مكة، ثم ذهب بها إلى المدينة حيث قامت هناك مع أمهات المؤمنين.

وشقيقتها أم الفضل زوجة عم النبى ﷺ «العباس» وهى ثان امرأة بعد خديجة رضي الله عنها آمنت وأسلمت، وأختها لأمها أسماء بنت عميس وسلمى بنت عميس زوجة حمزة بن عبدالمطلب. وقد سماهن رسول الله ﷺ «بالأخوات المؤمنات».

وكانت ميمونة رضي الله عنها زوجة لأبى رهم بن عبدالعزى العامرى قبل زواجها بالنبى ﷺ ومات عنها وتزوجها النبى ﷺ وعمرها ستة وعشرون عاماً. وجعلت أمرها إلى زوجة أختها العباس عم النبى ﷺ فأنكحها له وليّا عنها وأصدقها عن أربعمائة درهم وسماها ﷺ ميمونة.

وقد رفضت قريش أن يظل النبى ﷺ أكثر من ثلاثة كما كان تنص المعاهدة لأداء العمرة حتى يتم زواجه من ميمونة رضي الله عنها.

السيدة ميمونة فى بيت النبوة

وعاد النبى ﷺ ومعه السيدة ميمونة إلى بيت النبوة بالمدينة المنورة، وعاشت مع النبى ﷺ حتى مرض فى بيتها ثم انتقل إلى بيت عائشة وتوفى

هناك فى حجرة السيدة عائشة ودفن فيها.

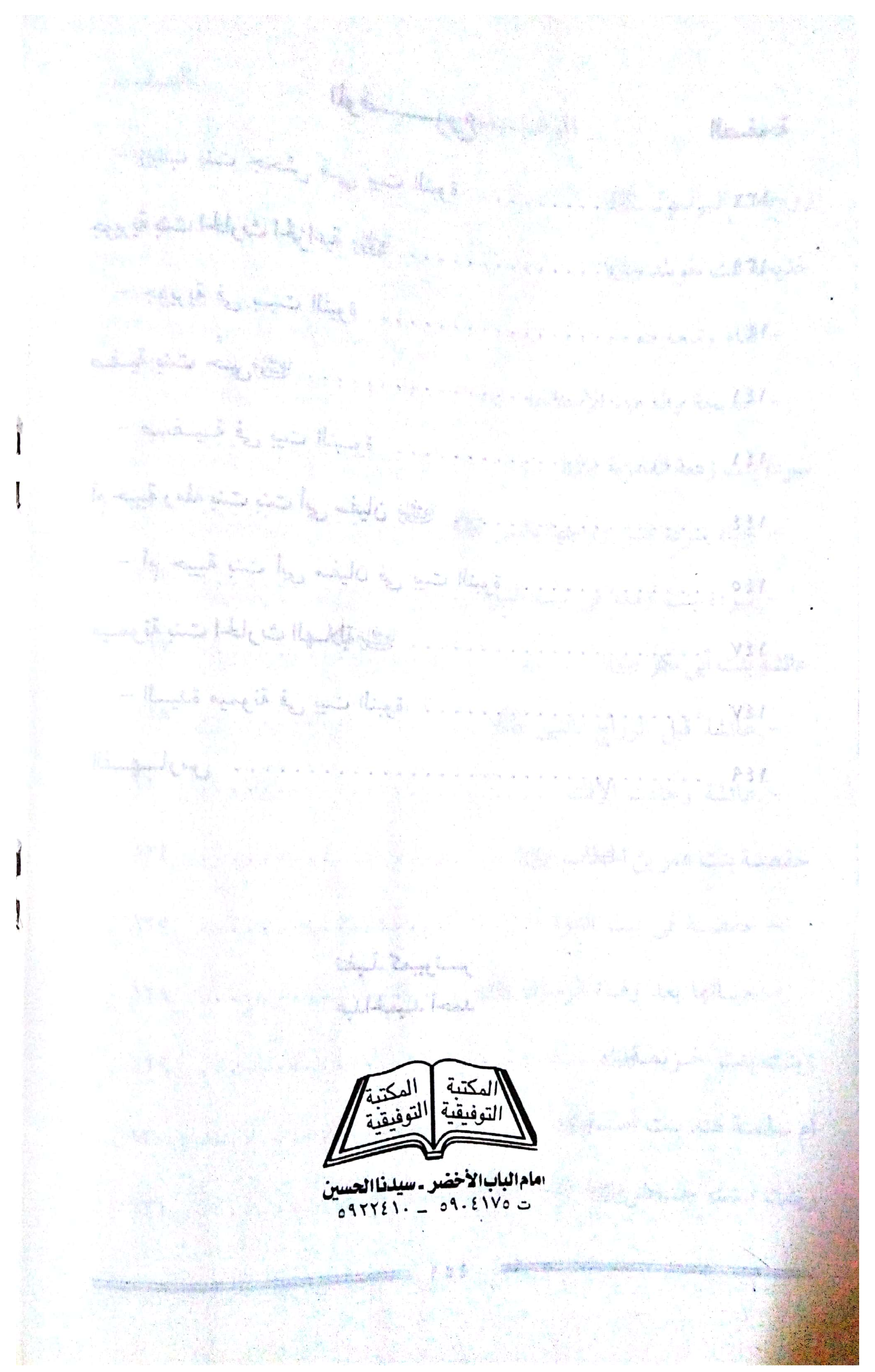
وعاشت ميمونة بعده خمس سنوات وماتت فى خلافة عمر بن الخطاب ﷺ.

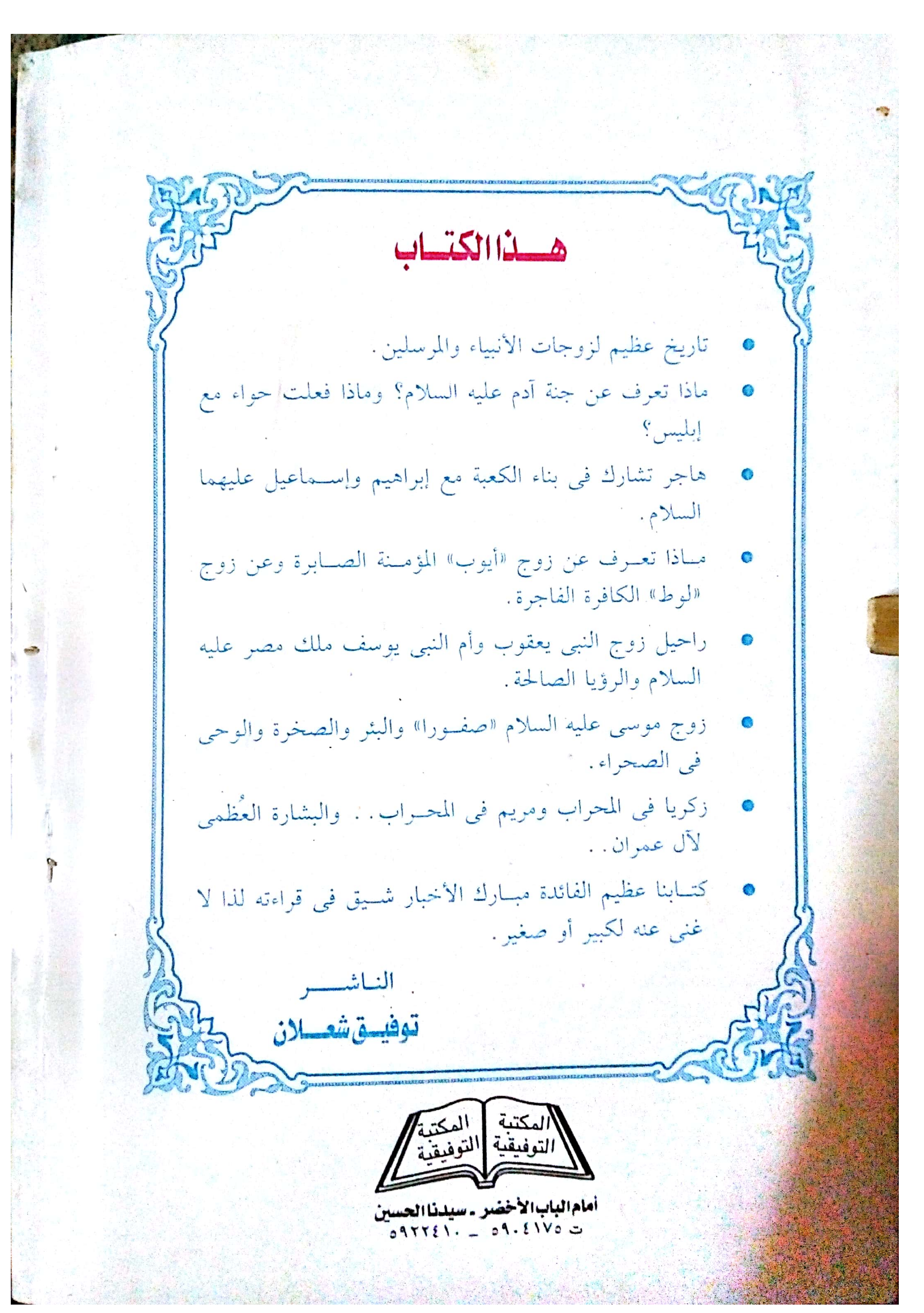
فهرس الكتاب

الموضـــــــــوع	الصفحة

تنفيذ كمبيوتر
عبدالحميد أحمد




المكتبة التوفيقية
المكتبة التوفيقية
امام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠



هــذا الكتــاب

- تاريخ عظيم لزوجات الأنبياء والمرسلين.
- ماذا تعرف عن جنة آدم عليه السلام؟ وماذا فعلت حواء مع إبليس؟
- هاجر تشارك فى بناء الكعبة مع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.
- ماذا تعرف عن زوج «أيوب» المؤمنة الصابرة وعن زوج «لوط» الكافرة الفاجرة.
- راحيل زوج النبى يعقوب وأم النبى يوسف ملك مصر عليه السلام والرؤيا الصالحة.
- زوج موسى عليه السلام «صفورا» والبئر والصخرة والوحى فى الصحراء.
- زكريا فى المحراب ومريم فى المحراب.. والبشارة العُظمى لآل عمران..
- كتابنا عظيم الفائدة مبارك الأخبار شيق فى قراءته لذا لا غنى عنه لكبير أو صغير.

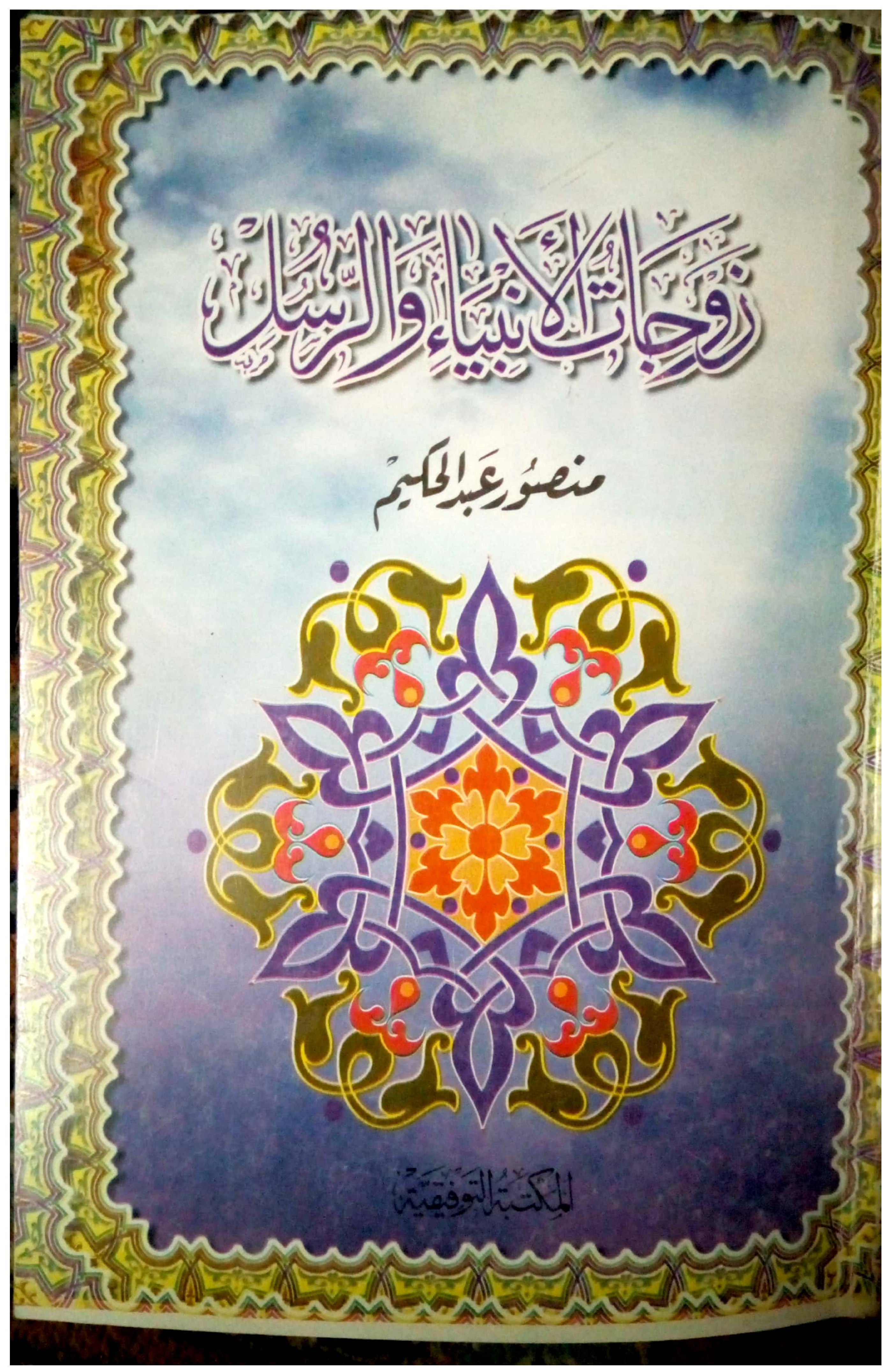
الناشر

توفيق شعلان

المكتبة التوفيقية

أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

ت ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠


زوجات الأنبياء والرسل
منصور عبد الحكيم
المكتبة التوفيقية